نظرات في
المذاهب والفرق والطرق الإسلامية
الفكرية والسياسية والسلوكية

الدكتور عمر محمد جبه جي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

فهذه محاضراتٌ ألقيتها منذ ست سنواتٍ على عددٍ من شباب الدعوة الإسلامية وقد لاقت منهم اهتماماً كبيراً لأنها تتحدث عن واقع بلاد الإسلام وما ينتشر فيها من مذاهب و فرق وطرق ، وهي تلقي الضوء عليها وتبين نشأتها وأفكارها ومبادئها ومناطق انتشارها ، والغاية من هذه المحاضرات هي الفهم المعمق لهذه الاتجاهات لمعرفة التعامل معها ، كذلك البحث عن نقاط القرب أو البعد فيها عن نهج الإسلام الصحيح بغية تقريب ما ابتعد وتقويم ما اعوج منها ، واليوم أجد الحاجة آكد لمراجعة هذه المحاضرات ولتحويلها إلى كتابٍ يتداوله شباب الدعوة الإسلامية بعد تصحيح الكثير من الأخطاء التي وقعت فيها سابقاً ، وتصحيح بعض وجهات النظر السابقة التي اعتراها القصور لعدم الاطلاع على بعض المصادر ، أو لعدم وضوح الرؤية في بعض المواضع ، كما أني أدخلت في هذا الكتاب الكثير من مشاهداتي وتجاربي الشخصية مع معظم الفرق والمذاهب والطرق التي ذكرتها في الكتاب.

وفي هذه الأيام النحسات نرى طوائف مارقة ينسبونها إلى الإسلام تتسلط على بلاد الإسلام تقتل وتذبح ، تهدم الديار العامرة ، وتروع الأبرياء وتغتصب الأرض والعرض ، يدفعها إلى ذلك حقدٌ كان دفيناً لفترةٍ طويلةٍ ما لبث أن تبدى هذه الأيام ، كما ظهر تآمرٌ دولي على بلادنا المسلمة الذي ما فتئ يستغل الطوائف المحسوبة على الاسلام لهدم الإسلام وقتل أهله ودعاته ، وهذا ما نراه في التسلط الرافضي الخبيث على بلاد الإسلام بغية إقامة امبراطوريةٍ رافضيةٍ مجوسيةٍ ، وما نراه من الإرهاب النصيري الكافر الذي دمر بلاد الشام العامرة وشرد أهلها في الآفاق ، وفي نفس الوقت ترتفع رايات الخوارج الجدد هنا وهناك لتنشر القتل والدمار ولتكمل تدمير ما بقي من بلادنا بحجة حماية الأبرياء ومحاربة الإرهاب الذي صنعته .

وفي مقابل ذلك نرى انقساماً حاداً في صفوف أهل الحق ، تتقاسمهم اختلافاتٌ مذهبيةٌ قديمةٌ وأهواءٌ سياسيةٌ جديدةٌ ، لذلك رأينا عدوهم متسلطاً ورايته مرتفعةً ، وهم متفرقون لا تقوم لهم قائمة.

لذلك رأيت أن أعيد الكتابة في موضوع الفرق والمذاهب والطرق لتتضح الصورة للناظر ويرجع الأمور إلى أصولها .

وقد ارتأيت أن أقسم البحث إلى ثلاثة أقسامٍ:

الأول : تحدثت فيه عن الفرق الإسلامية السياسية ، وقد أفضت في الكلام عن الشيعة وفرقها ليرى الناظر حقيقة هذه الفرقة الضالة وأصولها وفروعها ليكون على حذرٍ منها ومن مشروعها الذي يهدف إلى السيطرة على بلاد الإسلام وذبح أهله تحت غطاءٍ دينيٍ أيديلوجيٍ إرهابيٍ مجوسيٍ.

كما تحدثت في هذا القسم عن فرق الباطنية وفظائعهم القديمة والحديثة ، على رأسهم الطائفة النصيرية الكافرة التي دنست بلاد الشام كثيرلأكثر من خمسين عاماً وما تزال فظائعها في كل شبرٍ من أرض الشام المباركة.

ثم تحدثت عن الخوارج وفرقتهم وسبب نشأتهم والإرهاب الذي مارسوه ضد المسلمين قديماً ، ثم تحدثت عن الفرق التي تفرعت عن الخوارج.

ثم تحدثت عن مذهب الإباضية الجدد والذي اطلعت عليه عن قرب فرأيت أتباعه قريبين جداً من أهل السنة والجماعة مع تمسكهم بمسائل متعددة تعد أساس مذهبهم ، والتي أعتقد أن البحث العلمي الجاد سيجعل المنصفين منهم يتخلون عن مسائل الخلاف ويدخلوا فيما دخل فيه عموم المسلمين .

وفي القسم الثاني من البحث تكلمت عن المذاهب الفكرية والعقائدية وبعض هذه المذاهب منقرضة ولكن أفكارها منتشرة هذه الأيام كالفكر الجبري والإرجائي ، وتكلمت عن المعتزلة ومذهبهم الذي ما يزال له أتباعٌ حتى يومنا الحاضر ، كما أن الكثير من الباحثين غير المتعمقين و الكثير ممن يسمي نفسه مفكراً إسلامياً يتبنون هذا المذهب أو الكثير من مبادئه.

كما تحدثت عن مذهب الأشاعرة الذي يمثل مذهب السواد الأعظم من أهل السنة وتخرج من مدرسته أساطين العلم على مر السنين ، وهذا المذهب يتعرض لهجمةٍ شرسةٍ من الوهابية المعاصرة التي تراه خارجاً عن الإسلام ، فأمطت اللثام عن هذا المذهب العظيم وحاولت انصافه مع انتقادي للكثير مما وقع فيه متأخرو المذهب من تعسفٍ في التأويل.

كما تحدثت عن مذهب الإمام المجدد ابن تيمية رحمه الله وأهم مايميز مدرسته مع بعض الانتقادات لما وقعوا فيه من أخطاء .

وفي القسم الأخير من هذا الكتاب تحدثت عن التصوف وطرقه ، وحاولت أن أبحثه بحثاً أكاديمياً لأضع النقاط على الحروف ، لأن موضوع التصوف عائمٌ وطرقه بعدد نجوم السماء ، ومتبعوه ومنتقدوه كثر ، وكلٌ ينطلق من مبادئ مسبقة في الحكم على التصإسلامسوف أو الحكم له ، والتصوف لا يمكن أن يشطب بكلمة فهو متغلغلٌ في كل المجتمعات الإسلامية ويتبعه سوادٌ عظيمٌ من أهل الإسلام فكان لابد من بيان حقيقته ، وقد ارتأيت لتسهيل البحث فيه أن أقسمه إلى ثلاثة أقسامٍ : تصوف سني ، وتصوف بدعي ، وتصوف فلسفي ، وقد أفضت الكلام في بيان كل نوعٍ منها.

ثم تكلمت عن الطرق الصوفية بشكلٍ عامٍ ، وفصلت القول في أشهرها .

ولكني لم أستوف الكلام في كل الفرق والمذاهب والطرق لذلك سميت الكتاب (نظرات في الفرق والمذاهب والطرق الإسلامية) ، فهي نظراتٌ ولمحاتٌ يعوزها الكثير من التحليل والتعمق ، وهو جهد المقل فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، والحمد لله في الأول والختام .

تمهيد

في

أسباب الاختلاف الفكري بين المسلمين

إن أي موضوع يطرح مهما كان شأنه تجد للناس في شأنه اختلافاً واسعاً ، ويمكن إرجاع هذه الاختلافات إلى عدة أسباب منها : غموض الموضوع في ذاته، فقد يكون واضحاً عند فئة غامضاً عند أخرى ، ويسمى هذا في علم الحوار والجدل (عدم وضوح موضع النزاع) ، فأحياناً تجد محاورين يتناقشان ثم ترتفع أصواتهما ، وربما اشتبكا بالأيدي والسبب في ذلك عدم تحرير موضع النزاع ، يقول سقراط : (إذا عرف موضع النزاع بطل كل نزاع) .

ومن الأسباب اختلاف الرغبات والشهوات والأمزجة ، ومنها اختلاف الاتجاه فكل ينبعث بتفكيره وفق منهاجه الذي اختطه لنفسه أو التزم به ، ومنها اختلاف المذاهب دينية أو سياسية أو فلسفية أو فكرية ومنها تقليد السابقين : والتعصب لهم ، وحيث كان التعصب شديداً كان الاختلاف شديداً ، قال تعالى عن الذين يتعصبون لآبائهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون) .

ومنها اختلاف القدرات العقلية بين الناس ، ومنها الرياسة وحب السلطان ، ومنها اختلاف البيئة الاجتماعية إلى غير ذلك من أسباب الاختلاف بين الناس .

والمسلمون هم فريقٌ من البشر لديهم ما لدى غيرهم من نزعاتٍ واتجاهاتٍ وميولٍ ورغباتٍ ، وقد اختلفوا فيما بينهم ، وتفرقوا فرقاً ومذاهب تتقارب حيناً وتتباعد آخر ، والأسباب الآنفة الذكر تشمل المسلمين وغيرهم ، إلا أن المسلمين لديهم أسبابٌ أخرى كانت السبب في اختلافهم وتفرقهم فرقاً ومذاهب سياسية أو فكرية أو سلوكية ، وهذه الأسباب نتوصل إليها من استقراء تاريخ المسلمين ومن هذه الأسباب :

1-**العامل الاجتماعي .**

ويتمثل في أن الفتوحات الإسلامية أوجدت واقعاً جديداً ، حيث دخلت شعوبٌ كثيرةٌ ذات أصولٍ عرقيةٍ متعددةٍ ، وثقافاتٍ متباينةٍ ، ومدنياتٍ عريقةٍ ، وديانات مختلفةٍ من مجوسيةٍ وصابئةٍ ويهوديةٍ ومسيحيةٍ وغيرها تحت لواءٍ واحدٍ ، لواء الدولة الإسلامية الناشئة ، كما أن هذه الشعوب لم تكن على وفاق مع العرب ، أو على وعيٍ كاملٍ بحقائق الإسلام وأصوله، أو اقتناعٍ بصحة مبادئه وقيمه ، ومنهم من لم يكن يفرق بين الإسلام وبين سلوك بعض الفاتحين.

كما أن العصبية القومية أو القبلية والتي جاء الإسلام ليقضي عليها اشتعلت بين المسلمين ، فظهر من ينادي بالقومية الفارسية أو العربية أو البربرية أو .....، وهناك من تعصب لقبيلةٍ أو عائلةٍ ، كمن تعصب للهاشميين أو للأمويين أو للعباسيين ، و بالطبع كان هناك من ينفث في تنور هذه الجاهلية ليوقدها ، وقد لاحظنا في تاريخنا ظهور الحمية والعصبية الشعوبية الفارسية ، وظهور التباهي بالقومية والاستعلاء بها ، وهذا ما أدى إلى الخلاف بين بعض المسلمين .

ففي عهد الأمويين مثلاً ظهر خلاف بين القبائل القيسية الذين وقفوا مع ابن الزبير ، والقبائل اليمانية الذين

وقفوا مع الأمويين وسبب ذلك كله عودة الجاهلية القبلية والقومين إلى النفوس ، بعد أن رشد الإسلام هذه العصبية ووجهها لما فيه رفعة الدين والتضافر لنصرته .

2-التنازع على الخلافة .

وهذا السبب مرتبطٌ بسابقه فقد استثمر المتنافسون على الخلافة العصبية القبلية في صالحهم ، فالأمويون مثلاً اعتمدوا على العرب في حكمهم وقللوا من شأن الموالي إلا في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي ساوى بين الجميع ، فقد أرسل له والي بلاد فارس عربيان ومعهم واحد من الموالي ، ليعلماه بأخبار الولاية ، فتكلم العربيان وأفاضا ، ولم يتكلم المولى فسأله عمر أن يتكلم فقال : لماذا أتكلم وعندكم خمسة وعشرين ألفاً من الموالي تستخدمونهم في شتى الأعمال والجهاد ولا تعطوهم أعطياتهم .

فعزل عمر الوالي وأرسل آخر ليعطي للناس حقوقهم ، وأرسل والي خراسان إلى عمر بن عبد العزيز رسالة يقول فيها : إن أهل خراسان لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فرد عمر رحمه الله : إن أهل خراسان لا يصلحهم إلا العدل فابسط العدل بين رعيتك تأخذ منهم الطاعة .

وبعد الأمويين جاءت الدعوة العباسية على النقيض من ذلك ، حيث نشر العباسيون دعاتهم في بلاد فارس بين الموالي فكان رأس الحربة التي نحرت الدولة الأموية هم الفرس ، وكان قائد جيوش العباسيين هو أبو مسلم الخراساني من الموالي .

واعتمدت الدولة العباسية بعد ذلك بشكل كبير على الفرس والموالي .

وكان من نتائج التنازع على الخلافة انقسام المسلمين إلى خوارج وشيعة وأهل السنة والجماعة.

وقد تولد عن النزاع على الخلافة عقائد معينة وآراء فكرية سنذكرها لاحقاً ، و هذه الأفكار والمعتقدات كونت هذا المذهب أو ذاك .

3-مجاورة المسلمين لأهل الديانات القديمة ودخول بعضهم في الإسلام وإدخالهم لعقائدهم وعاداتهم معهم ومحاولتهم صبغها بصبغة الدين الجديد .

فكثير من أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى والمجوس والزرادشتيين بسبب التفوق الحضاري للمسلمين أحبوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس من هذا الدين مع تعلقهم بعقائدهم القديمة وعاداتهم المتوارثة عن آبائهم وأجدادهم ، فجاؤوا بالعقائد والعادات المتوارثة وحاولوا إلباسها لباساً إسلامياً وتقديمها للناس كعقائد وأفكار إسلامية ، فظهرت عند بعض الفرق أفكار وعقائد من أصول فارسية أو رومانية أو نصرانية أو غير ذلك .

من ذلك ما يسمى بالدولة الإلاهية عند بعض الصوفية والتي يرأسها القطب الأوحد ويساعده الأقطاب الأربعة ثم الأوتاد الثمانية ثم الأبدال الأربعين ثم النجباء ثم الأولياء.

وهذه الدولة موكلةٌ من الله بالتحكم بالكون وإدارته .

وقد تسربت هذه الفكرة إلى الصوفية من الفكر الفارسي والهندي والبرهمي .

ومن ذلك أيضاً فكرة الوصاية لعلي باعتباره متمماً للنبوة واعتبار أن له حقاً منصوصاً من الله ، وهذه الفكرة من ابتداع ابن سبأ اليهودي الذي استغل معتقد الفرس في ملوكهم حيث أنهم كانوا يرون لملوكهم حقاً إلاهياً مكتسباً ، وهذا الحق ينتقل بالوراثة ، فنشرها بينهم .

4-ترجمة الفلسفة اليونانية .

لما ترجمت الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية أعجب فريقٌ من المسلمين بهذه الفلسفة وتبنوها ، فظهر ما يسمى بالفلاسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي والكندي وابن رشد وغيرهم .

وفي مقابل هؤلاء ظهرت فرقة المعتزلة التي تعلمت الفلسفة وتخصصت بها لترد على الفلاسفة ، ولكن هذه الفرقة وقعت في شطحات عقلانية ، فقد اعتدت بالعقل واعتبرته الدليل المرشد لها ، وجعلته حاكماً على النصوص ، لذلك فهي تؤول أي نص يعارض العقل بنظرها ، وترد أي حديث يعارض العقل .

وقد أدى غلو المعتزلة هذا إلى ظهور مذهبين وقفا في وجهها وهما مذهب الأشاعرة و مذهب الماتريدية وهما أكبر مذهبين من مذاهب أهل السنة العقدية .

هذان المذهبان حاولا التوفيق بين مقتضيات العقل ونصوص الكتاب والسنة ، ومن علماء هذين المذهبين أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي ثم الشيرازي والغزالي والجويني والباقلاني والآمدي والنسفي والبيضاوي والرازي وغيرهم .

هذا وقد كتب الإمام الغزالي الأشعري كتاباً سماه تهافت الفلاسفة فند فيه معتقدات الفلاسفة وكفرهم في في عشرة مسائل ، من ذلك عدم إيمانهم بالبعث بعد الموت ، ومنها قولهم بأن العالم انبثق عن الله انبثاق المسبب عن السبب ونتوج المعلول عن العلة وبعد ذلك لا علاقة لله بالكون .

ولقد اعترى المدرسة الأشعرية بعض الشطط في تأويل النصوص ، مما أدى لظهور مدرسة ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب والذهبي رحمهم الله تعالى التي ردت على اشتطاط بعض الأشاعرة في بعض المواضع .

ولكن مدرسة ابن تيمية أيضاً اشتطت في رفض التأويل ، وقد أخذت بظاهر الكثير من النصوص الظاهرة التأويل ، فكان هناك شططٌ في الفريقين شططٌ في التأويل، وشططٌ في رفضه وإغلاق بابه .

وأهل السنة منقسمون عقدياً إلى مدرستين : مدرسة الأشاعرة والماتريدية ، ومدرسة ابن تيمية السلفية

وفي هذه الأيام نرى الأزهر الشريف وكل الكليات التابعة له أو التي تبنت منهجه في الشام ومصر وشمال إفريقيا ووسط آسيا على المذهب الأشعري والماتريدي ، بينما مدرسة ابن تيمية السلفية فتسود الجزيرة العربية

وبعض مناطق الهند والباكستان وبعض المغاربة وغيرها .

ومن الجدير بالذكر هنا أن المذاهب الفقهية الأربعة ظهرت قبل ظهور الفلاسفة ، وقبل ظهور المذاهب العقدية ، ولكن بعد ظهور هذه المدارس انحاز جمهور الشافعية وجمهور المالكية وجزء من الحنفية وجزء من الحنابلة إلى المدرسة الأشعرية ، وانحاز جمهور الحنفية وجزء من الشافعية إلى المدرسة الماتريدية ، أما الحنابلة فجمهورهم في مدرسة الحديث السلفية .

المبحث الأول

الفرق الإسلامية السياسية

مقدمة.

تتقسم الفرق الإسلامية عموماً إلى فرقٍ سياسيةٍ ، و فرقٍ عقائديةٍ ، وهذا التقسيم ليس تقسيماً حدياً فالفرق السياسية تحمل مجموعة من الأفكار العقائدية يختلف بعضها عن بعض ، و سميناها فرقاً سياسيةً لغلبة الجانب السياسي عليها ، والفرق العقائدية ليست بعيدةً عن السياسة ولكنه لما غلبت عليها المناقشات العقلية سميناها فرقاً عقائديةً .

لقد كان للأحداث السياسية الكبيرة التي عصفت بالأمة الإسلامية_ من استشهاد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، إلى وقعة صفين ، إلى التحكيم ، فاستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه _دورٌ كبيرٌ في اختلافت المذاهب السياسية وتبلور النظريات السياسية لكل فريق ومن أهم مواضع الاختلاف بين المذاهب السياسية الإسلامية الرئيسية _**أهل السنة والشيعة والخوارج**_ ما يلي :

1- الاختلاف في كون الخليفة من قريش ، فأهل السنة الأقدمون والشيعة اشترطوا القرشية على اختلافٍ بينهم في تحديدها فأهل السنة عمموا الاختيار فجعلوه في قريشٍ عامةً من أي بطنٍ من بطونها ، أما الشيعة فخصوا بذلك رجالاً معينين من آل علي اتفقوا عليم وهم أئمتهم الاثنا عشر .

أما الخوارج فأجازوا عقد البيعة لأي مسلم سواء أكان عربياً أم أعجمياً ، قرشياً أم غير قرشي واستدلوا بحديث السمع والطاعة ولو كان الأمير عبداً حبشياً رأسه زبيبة إلا إن ظهر منه الكفر البواح .

وقد نظر المحققون من أهل السنة كابن خلدون والعز بن عبد السلام رحمهما في حديث : (الأئمة من قريش) نظرةً مقاصديةً ، فرأوا أن تخصيص قريشٍ معللٌ بكونهم أصحاب الشوكة ، والعرب لا يسلمون قيادهم لغيرهم ، فالعلة عرفية وهي تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال.

كما أن أهل السنة تطور فقههم السياسي مع الأيام وخرج من إطار هذه الخلافات القديمة ، وطرح الكثير من البدائل الفقهية على مر الأزمان، بينما نرى غيرهم متشبثون بالأفكار القديمة يتناقلوها جيلاً بعد جيلٍ كأسسٍ لمذاهبهم لا تقبل التغيير .

2- الخلاف في كون الخليفة لم يرتكب معصية قط وهذا رأي الخوارج ، فإذا وقع الإمام في معصية وجب الخروج عليه سواء استطعنا خلعه أم لا ، أما الشيعة فيشترطون النص على الإمام وعصمته وهو أحد أئمتهم الاثني عشر .

وأما أهل السنة فلا يرون الخروج على الإمام في حالة وقع في معصيةٍ شخصيةٍ ، بل يرون نصحة إلا إذا كفر أو أمر بالمعاصي أو غير الشرع واستبدل أحكام الله بغيرها ، طبعاً من

البدهي القول أن أهل السنة لا يصححون بيعة الفاسق ، ولا بيعة المبتدع ، ولا بيعة من ينتمي إلى عقائد تعارض عقيدة المسلمين كالنصيرية والدرزية وغيرها من العقائد المارقة .

والمسألة التي نناقشها هنا هي حالة الفسق الطارئ لمن عقدت له البيعة .

المذهب الشيعي

(الفرقة الشيعية)

نبذة تاريخية مختصرة عن نشأة التشيع.

ظهر التشيع في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه عندما بدأ أصحاب الفتنة ينشرون في الكوفة والبصرة وفي مصر وغيرها ، أن النبي أوصى بالخلافة بعده لعلي بن أبي طالب وبدؤوا يصوغون أحاديث كاذبة ينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها : (أنا مدينة العلم وعليٌ بابها) ، وزعموا أن النبي أخذ البيعة لعلي من كل الصحابة بعد الحج في غدير خم ، ونشروا أن الصحابة تآمروا في سقيفة بني ساعدة ونزعوا واغتصبوا الخلافة من علي وأعطوها أيا بكرٍ الصديق رضي الله عنه ، وكذلك فعل عمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً .

وكان رائد هذه الدعوى الباطلة عبد الله بن سبأ اليهودي (ابن السوداء) وتبناها الشذاذ من هنا وهناك ، وأدى ذلك إلى تثوير الناس على عثمان رضي الله عنه وقتله .

وعندما استلم علي رضي الله عنه الخلافة التف هؤلاء حوله وبدؤوا ينشرون الأخبار بأن علي هو ولي الله وأن النبي نص عليه ، وكان رضي الله عنه كثيراً ما يسمع ذلك فينكر عليهم أشد الإنكار ، حتى أنه حرق بالنار من ادعى أن الله قد حل في جسده .

وقال ابن السوداء لعنه الله لعلي رضي الله عنه : أنت الله تحل في الشمس وتحل في القمر فهم علي بقتله فهرب .

وبدأت هذه الأفكار تنتشر بكثرة زمن علي رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يحاربها بشدة ، إلا أن النزاع السياسي الحاد الذي كان زمن علي رضي الله عنه، واضطراب خلافته ، وعدم قدرته على جمع كلمة الأمة تحت رايته ، كل ذلك جعل أصحاب الفتنة ينشرون أفكارهم ، حتى استشهد علي رضي الله عنه ، وتنازل بعده ابنه الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه عام 41 هـ وسمي ذلك العام عام الجماعة .

وفي زمن معاوية رضي الله عنه كانت هناك فترة من السبات لهذه الأفكار ، ولكنها كانت كالجمر تحت الرماد تنتظر من ينفخ فيها ، فقد كان أصحاب الفتنة ينشرون تلك الأفكار وقد استغلوا عواطف أهل العراق مع أهل البيت وأبناء علي رضي الله عنه فبذروا بذور المذهب الجديد ، وقد ساعدت بساطة الناس وسذاجتهم في نشر هذه الأفكار ورواجها .

وكان من نتيجة ذلك أن غرر بالحسين رضي الله عنه ، حيث دعي إلى العراق بحجة أن أهل العراق يبايعونه على الخلافة ، فهناك مئة ألف سيف تبايعه على الموت ، و لكنه رضي الله عنه لما قدم العراق خذله أهل الكوفة وتركوه يواجه جيوش بني أمية وحده حتى سقط شهيداً رضي الله عنه وأرضاه .

ثم اتخذ هؤلاء من مقتل الحسين مناسبةً دينيةً يضربون فيها رؤوسهم و أبشارهم لخذلانهم له .
وبدأ أصحاب الفتنة وأغلبهم من الموالي ينشرون فكرة انتقال الولاية من علي إلى الحسن ، وبتنازل الحسن عنها لمعاوية سقط حقه وحق أولاده من بعده فيها وانتقل إلى أخيه الحسين ، وبعد استشهاده ، انتقلت إلى ابنه علي بن الحسين وهو ابنه من جاريةٍ له فارسية ، وهذا يوضح لنا سبب تعلق الفرس بالمذهب الشيعي وامتطائهم له .
وبعد علي بن الحسين اختلفوا في الولي من بعده ، هل هو زيد بن علي ، أم محمد الباقر بن علي ؟
طبعاً كانت هذه الأفكار تواجه بقمع شديد من الأمويين وولاتهم على العراق كزياد بن أبيه ، وعبيد الله بن زياد ، والحجاج وغيرهم ، مما اضطر المذهب إلى ابتكار مبدأ التقية والاختفاء ، والعمل السري المنظم .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الفلسفة الفارسية القديمة كان لها أثٌر كبيرٌ في تكون المذهب الشيعي ومن هؤلاء المستشرق دوزي الذي يقول بأن : (المذهب الشيعي نزعة فارسية ، و يعلل ذلك بأن العرب يدينون بالحرية أما الفرس فيدينون بالملك والوراثة ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة ، وعلي هو وارث النبي ، والفرس ينظرون إلى الملك نظرة تقديس).
وهذا الكلام وإن صدر من مستشرق إلا أنه صحيح لأن معظم من اعتنق التشيع من الفرس ، والفرس يعتقدون بأن الملك مقدس وعنده حق إلاهي ، وهذا الحق الإلاهي ينتقل من ابنه إلى ابنه ، وقد استغل الفكر الشيعي هذه الظاهرة في الفرس فزعم أن الحق الإلاهي انتقل من النبي إلى شخص من آل بيته وهو علي ثم إلى ابنه وهكذا .....وهذا ينسجم مع النظرية الفارسية .
وقد كتب العلامة سرور زين العابدين كتاباً أسماه (وجاء دور المجوس) ذكر فيه الكثير من الأدلة على أن التشيع فكرةٌ مجوسيةٌ فارسيةٌ .

أهم فرق الشيعة .

فرق الشيعة أكثر من أن تحصى ، و بعضها خرج عن الإسلام وبعضها يقترب ويبتعد عن الإسلام بحسب معتقداتها وأفكارها.

ومن هذه الفرق : السبئية والغرابية والكيسانية والجعفرية والنصيرية والدرزية والإسماعيلية الباطنية والفاطمية والزيدية .

فالتشيع هو مستنقع العقائد والفرق الضالة ، فأكثر من سبعين فرقة ضالة خرجت منه.

1-الشيعة السبئية .

مؤسسها عبد الله بن سبأ اليهودي (ابن السوداء) ، تقول هذه الفرقة بأن لكل نبي وصي ووصي محمد علي ثم طوروا أفكارهم فقالوا : علي هو الإله يحل في الشمس نهاراً ، وفي القمر ليلاً

وعندما قتل علي رضي الله عنه قالوا : بأنه رفع إلى السماء ليتحد الناسوت باللاهوت وهو الآن يدير الكون من سمائه .

وقد انتقلت الروح الإلاهية بالتقمص من علي إلى الأئمة الواحد بعد الآخر .

وهذه الفرقة أول من ابتدع عقيدة الغيبة والرجعة ويقصودون بها أن النبي صلى الله عليه وسلم وعلي والحسين سيرجعون إلى الدنيا وسيحاكمون كل من اغتصب حق آل البيت ، ثم تسللت هذه العقيدة من ابن سبأ إلى فرق الشيعة جميعها .

وقد تبنت العديد من الفرق هذه العقائد السبئية كالنصيرية والمرشدية والدرزية على اختلافٍ بينهم في تفصيلها

2-الشيعة الغرابية .

هذه الفرقة قديمة تعتقد أفضلية علي بن أبي طالب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن جبريل أخطأ فأنزل القرآن على محمد بدلاً من علي ، لأن علياً يشبه محمداً شبه الغراب للغراب .

وقد سخر الإمام ابن حزم في كتابه الملل والنحل من الشيعة الغرابية وتساءل : كيف يخطئ جبريل بين علي الذي عمره تسع سنوات وبين محمد صلى الله عليه وسلم الذي عمره أربعون سنة؟ .

3-الشيعة الكيسانية .

تنسب هذه الفرقة لمولى فارسي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اسمه كيسان ،حقيقي هو

ولكن مؤسسها المختار بن عبيد الثقفي الذي ادعى في زمن يزيد بن معاوية الولاء لمحمد بن الحنفية ، وبدأ يدعو الناس في الكوفة إلى بيعة محمد بن الحنفية(بن علي بن أبي طالب) ، فتبعه الناس ، وعندما سمع محمدٌ رحمه الله بذلك وقف عند الكعبة وأقسم بالله أنه بريء من هذا الرجل .

ومما فعله المختار الثقفي أنه جمع كل من شارك في قتل الحسين وذبحهم ، وقتل عبيد الله بن زياد والي العراق، وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ثم ادعى المهدية والنبوة فالألوهية .

أهم مبادئ الكيسانية .

1-تعظيم أئمة أهل البيت لأنهم رمز العلم الإلاهي

2-محمد ابن الحنفية لم يمت وهو في جبل رضوى عنده عسل وماء

وسيرجع في آخر الزمان .

3-تناسخ الأرواح ، وهو انتقال الروح من جسد لآخر أعلى أو أدنى ، وهذه العقيدة جاءتهم من الهندوكية ، وهذه العقيدة مشتركة بينهم وبين النصيرية والدرزية وتسمى أيضاً بالتقمص

فإن كان الرجل الميت صالحاً سمت نفسه إلى الأعلى وإن كان فاسداً حلت روحه في كلب أو جرذ ، ثم تنتقل من جسد إلى جسد أعلى أو أدنى.

4-يقولون بأن لكل شيء ظاهر وباطل ، وللقرآن ظاهر وباطن ، ظاهره للعوام ، أما باطنه فلا يعلمه إلا علي وابنه محمد بن الحنفية .

تنتشر الشيعة الكيساني في هذه الأيام في عدة أماكن في إيران .

4-الشيعة الجعفرية (الإمامية الإثنا عشرية) (الرافضة) .

وهي أكبر هذه الفرق **الشيعية** وتوجد هذه الفرقة في إيران والعراق ولبنان والبحرين والكويت والسعودية وبعض قرى سوريا وبض مناطق أفغانستان بنسبٍ متفاوتةٍ قلةً وكثرةً .
وهو أكثر الفرق الشيعية كتباً .

الأئمة عند الجعفرية .

الأئمة عند الرافضة هم : علي بن أبي طالب ، الحسن ، الحسين ، علي بن الحسين زين العابدين ، محمد بن علي الباقر ، جعفر بن محمد الصادق ، موسى بن جعفر الكاظم ،علي بن موسى الرضا ، محمد بن علي الجواد ، علي بن محمد الهادي ، الحسن بن علي العسكري ، محمد بن الحسن المهدي (الغائب المنتظر) .
لذلك سموا بالإثني عشرية لأنهم يعتقدون أن الذين توارثوا الإمامة هم إثنا عشر إماماً .
ولم يجعل الرافضة الإمامة في نسل الحسن رضي الله عنه لأنه تنازل عن حقه لمعاوية بن أبي سفيان سنة 41هـ ، لذلك جعلوا الإمامة في نسل الحسين لأنه خرج مطالباً بها ومات من أجلها ، واختاروا من أبناء الحسين من كان من نسل جاريته الفارسية ، وهذا يظهر الارتباط بين التشيع وبين النزعة الجاهلية الفارسية .
فعلي بن الحسين هو من جارية فارسية ، وبعده تولوا ابنه زيداً ، فلما ترضى عن أبي بكر وعمر رفضوه فسماهم رافضة ، ثم تولوا أخاه محمد الباقر ثم جعفر وهكذا حتى وصلوا إلى الحسن العسكري الذي مات تاركاً ولداً عمره أربع او ست سنوات وهو محمد المهدي ، ويبدو أن هذا الولد مات صغيراً أو أخفي ليزعم الشيعة أنه دخل السرداب في سامراء ليرجع في آخر الزمان ، وهذا ما يسمى عندهم بالغيبة والرجعة ، ويسمون محمد بن الحسن بالمهدي المنتظر ويقولون : عجل الله فرجه .
ويزعمون أنه سيرجع ومعه الرسول صلى الله عليه وسلم و الأئمة الإثني عشر ، وسيرجع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وطلحة والزبير ، وستقام محكمة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وطلحة والزبير لخروجهم على الإمام ويقتص منهم .
ويستلم الحكم محمد المهدي الذي يقال عنه : قائم الزمان ، ويعم حكمه المشرق والمغرب .
والرافضة يحجون إلى سامراء ويدعون لخروج مهديهم المنتظر .
وقد كثر ظهور من يدعي المهدية بين الشيعة عبر التاريخ .
وقد زعم بعض الباحثين من أهل السنة أن أحاديث المهدي متواترة ، و ذهب آخرون إلى أن

المهدية كذبة شيعية .

والحق أنه قد صح عند أهل السنة أحاديث تشير إلى المهدي ولكنها غير صريحة لذلك يقال : (ما ورد في المهدي صحيحه غير صريح ، وصريحه غير صحيح) .

مبادئ عقائد الشيعة الجعفرية .

1- **العصمة :** ويقصدون بها عصمة أئمتهم من الصغائر والكبائر ، ورفعتهم إلى مرتبةٍ أعلى من الأنبياء والمرسلين حاشا النبي محمداً صلى الله عليه وسلم .

ولا يوجد لديهم أي نص يثبت لأئمتهم الأفضلية على المرسلين وعلى أولي العزم منهم ، إنما هي مخاريق مكذوبة حشوا بها كتبهم .

2- أقوال الأئمة مقدسة في مرتبة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم معصومون وقد أحاطوا بظاهر الشريعة وباطنها ، وقد أودعهم الله أسرار الشريعة وهم أوصياء الله على خلقه وللأئمة عند الرافضة الحق في تأويل النصوص وتخصيصها وصرفها عن ظاهرها ، ولديهم علم لدني يتلقونه عن طريق الوحي والإلهام من الله .

3- **النص على إمامة الأئمة الاثني عشر :** فقالوا أن القرآن نص على إمامتهم بدايةً من علي رضي الله عنه ، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم صرح بذلك ، بل أخذ البيعة لعلي من جميع الصحابة بعد حجة الوداع –فيما يزعمون– في غدير خم ، ويزعمون أن جميع الصحابة رضي الله عنهم إلا ما قل منهم غدروا بعليٍ رضي الله عنه ونزعوا منه حقه في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تآمر أبو بكر مع عمر لتسليمه الحكم ، ثم تآمر عبد الرحمن بن عوف مع عثمان لتسليمه الحكم ، ثم رجع الأمر إلى نصابه .

ويزعمون أن جميع الأئمة الاثني عشر منصوصٌ على إمامتهم ، فعلي نص على ابنه الحسن ، وعندما تنازل الحسن آل الأمر إلى الحسين الذي أوصى لابنه علي وهكذا حتى نصل إلى المهدي .

وقد ألف الرافضة آلاف الأحاديث التي تنص على إمامة علي والأئمة الإثني عشر .

وقد ضخمت قصة غدير خم وأخرجت عن سياقها وكتب فيها عشرات المجلدات .

4- **المهدي (الإمام الغائب المنتظر) :** وهذه الفكرة نشأت عندهم بعد الذي زعموه من غيبة محمد بن الحسن العسكري في السرداب في سامراء ، وترتبط بفكرة المهدية فكرة الغيبة والرجعة كما مر معنا سابقاً .

5- ويزعمون أنه سيرجع مع الأئمة الإثني عشر والرسول ، وسيرجع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وطلحة والزبير ، وستقام محكمة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وطلحة والزبير لخروجهم على الإمام ويقتص منهم .

6- **التقية** : حيث أنهم يظهرون للمخالف لهم (خاصةً السني) خلاف ما يبطنونه من معتقدات ، وهذا من أخطر مبادئهم ، ويعدون ذلك من الدين .

7- السب للصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وخالد بن الوليد وأبو سفيان و كل الصحابة الأمويين رضي الله عنهم أجمعين ، ويزعمون أنهم يتقربون إلى الله في السب وأنهم ينصرون أهل البيت الذين سلبهم هؤلاء حقوقهم .

أصول الشيعة الفقهية .

1- **القرآن الكريم :** وهو الأصل الأول عندهم ، ولكن يميزهم عن غيرهم أن لهم تأويلات خاصة لنصوص القرآن ينسبونها لأئمتهم الإثني عشر ، وكل آية خالفت مبادئهم يؤولونها بما يتفق مع مبادئهم ، فلهم بذلك تفسيرٌ مغايرٌ لما اتفق عليه المسلمون .

من ذلك تفسيرهم لقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً) قال الشيعة : نزلت بالشكل التالي : (وكذلك جعلناكم أئمةً وسطاً) والمقصود الأئمة الاثني عشر ، طبعاً هذا تحريف واضح للقرآن الكريم .

ومن ذلك : في قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، قالوا : أنزلت بالشكل التالي : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي **بولاية علي** ، ورضيت لكم الإسلام ديناً)

فأفكارهم ومبادؤهم التي ذكرناها سابقاً مسيطرة على عقولهم ، لذلك حرفوا الكثير من آيات القرآن ، وفسروا الكثير منها بما يتوافق مع عقائدهم ومبادئهم ، وكتبهم مليئة بهذه الترهات وينسبونها بالباطل إلى الأئمة الاثني عشر .

من تفاسيرهم : جامع البيان للطبرسي .

هذا وقد غالى بعضهم وزعم أن القرآن الكريم الذين بين أيدينا محرف منهم أبو جعفر النوري الطبرسي الزنديق الذي ألف كتاباً حشاه بالأدلة التي يثبت فيها تحريف القرآن وسماه (التبيان في تحريف آي القرآن) ذكر فيه 3000حديث ينسبها لآل البيت يزعم فيها أن القرآن محرفٌ ، وعندما قامت الثورة الرافضية في إيران طبعته الثورة ووزعته ، وعندما واجه أهل السنة الرافضة بذلك زعموا أن الطبرسي أخطأ و أن القرآن الذي بين

أيدينا هو كتاب الله والجمهورية الشيعية الإيرانية تطبع نفس المصحف .
ومن يتصفح كتابهم الكافي لمرجعهم الحديثي الكليني يجد أكثر من 100حديث عن تحريف القرآن ، وكذلك كتاب (كاشف الغطاء) فيه الكثير من رواياتهم التي تزعم أن القرآن تغير وتحرف ، وعندما تواجه الرافضة بذلك يزعمون أن هذه الأحاديث مؤولة وهذا ضرب من ضروب التقية التي يمارسها الرافضة .
ويزعم بعض زنادقتهم أن القرآن الذين بين أيدينا ليس الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بل هناك قرآنٌ آخر سيأتي مع مهديهم المنتظر ، والقرآن الذي بين أيدينا بدله أبو بكر وعثمان .
ومن المعلوم أيضاً أن الرافضة يرفضون القراءات المتواترة كلها إلا رواية حفص لأن سندها ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
وقد طالب الكثير من علماء الإسلام مرجعيات إيران تنقية كتبهم من هذه الكفريات ولكن لا جواب منهم .
2-السنة النبوية : وهي عندهم كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن علي والحسن والحسين وفاطمة ، وما ورد عن الأئمة الإثني عشر من أقوالٍ أو أفعالٍ أو تقريراتٍ ، وبالتالي عندهم قول جعفر الصادق مثلاً بمنزلة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأن كلاهما معصومان .
وإذا تصفحنا كتابهم المعتمد في السنة المسمى بالكافي لإمامهم الكليني ، وجدناه يسوق أحاديثاً ينسبها للرسول وأخرى ينسبها للأئمة الإثني عشر ويجعلها كلها في سويةٍ واحدةٍ
ومن الجدير بالذكر هنا أنه لم يكن عند الرافضة لفترة طويلة من الزمن منهجٌ لنقد وتمحيص النصوص ، فلم يكن عندهم علم المصطلح ولا الجرح والتعديل ، ولا علم الرجال ، لذلك هم كحاطب ليلٍ كلما أُلفَ حديثٌ يوافق عقائدهم ضموه إلى كتبهم ونسبوه للنبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الأئمة .
وقد حاول المتأخرون منهم تبني منهج أهل السنة في الجرح والتعديل ونقد الحديث مع إدخال الكثير من التعديلات عليه ليناسب أحاديثهم .
وقد حاولوا تطبيق هذا المنهج على كتابهم الكافي للكليني وهو يحتوي على قرابة ستة عشر ألف حديث ، فلم ينج منها إلا قرابة أربعة آلاف حديث ، وهذه الأحاديث لو وضعت في موازين أهل الحديث لم ينج منها إلا النذر اليسير .

وقد قام بعض دعاة التقريب بإجراء تقاطعات بين أحاديث الشيعة وغيرهم وأظهروا الكثير من الأحاديث المشتركة في المتون ، ولكن عند التمحيص نجد أن المتون قد تصح ولكن من غير أسانيدهم .

والخلاصة: أن ما يصح من أحاديثهم هو ما وافق منهج أهل السنة في نقد الحديث وتمحيص الأسانيد ورجالها ، وهو جد قليل .

3-**إجماع العترة** : ويقصدون بالعترة أهل البيت وهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً .

فإذا أجمع هؤلاء على أمر فالحجة في إجماعهم ، وأحياناً يريدون بالإجماع إجماع الأئمة الإثني عشر .

أما إجماع المسلمين فلا يصح عندهم إلا إذا احتوى الإجماع قول المعصوم ، فالإجماع يكتسب قوته من وجود المعصوم فيه وليس من ذاته .

ولم يأخذ الشيعة بالقياس ولا المصلحة المرسلة ولا سد الذرائع ولا غيرها

وعندهم مصدر آخر يسمونه **حكم العقل** .

4-**حكم العقل** : ويقصدون به حكم الإمام المعصوم واجتهاده .

فكرة الإمام الفقيه (الولي الفقيه) .

فكر الشيعة قائمٌ بالأساس على فكرة الإمام الغائب ، وكل فترة يظهر من يزعم أنه ذلك الإمام المنتظر ويجمع حوله الجهال من الرافضة ، ثم يظهر كذبه ومخرقته ، ولقد أقام الشيعة العديد من الدول على أساس كذبة المهدي كالدولة العبيدية التي احتلت معظم العالم الإسلامي وذاق منها المسلمون الويلات حتى أسقطها بطل الإسلام صلاح الدين، وكذلك الدولة البويهية التي أخضعت الشرق الإسلامي ووضعت خليفة المسلمين تحت وصايتها ، حتى أطاح بها القائد السلجوقي العظيم طغرل بك.

كما كان للشيعة العديد من العصابات هنا وهناك أذاقت أهل الإسلام الويلات، ومن عصاباتهم عصابة القرامطة التي احتلت الخليج وهاجمت الحجيج وذبحتهم قرب الكعبة وسرقت الحجر الأسود .

ومن جرائمهم تحالف الوزير الرافضي الخائن ابن العلقمي مع المغول وتحريضهم على ذبح غليفة المسلمين.

وفي القرن الماضي احتل الصفويون الرافضة بلاد فارس ذات الأغلبية السنية وقاموا

بذبح مليون سني وهدموا المساجد السنية وأجبروا من تبقى من السنة على التشيع ، وقاموا باحتلال العراق وخططوا للزحف على الشام والحرمين ، فوقف في وجههم خليفة المسلمين العثماني سليم الأول الذي دمر جيوشهم وحرر العراق منهم ووصل عاصمتهم تبريز فطهرها منهم .

وفي ستينات القرن الماضي ، اجتمع بعض مفكري الشيعة وتدارسوا قضية الإمام الغائب وتساء لوا عن مدة الانتظار وجدواها ، وتدارسوا في ضرورة إيجاد مرجعية تجمعهم وتوحد كلمتهم ، وإيجاد دولة تلم شعثهم ، ولا بد من إضفاء الشرعية الدينية على هذه المرجعية وهذه الدولة .

ويكون من مهمة هذه المرجعية وهذه الدولة القيام بمهام الإمام الغائب ، فإذا جاء سلموا له مقاليد الأمور .

حمل هذه الفكرة مجموعة من المرجعيات الشيعية على رأسهم الخميني ، وبدؤوا ينشرون في الحوزات الشيعية فكرة وجود إمام يكون نائباً عن الإمام الغائب ويجب أن يكون فقيهاً في المذهب ، وأطلقوا عليه لقب : **(الإمام الفقيه النائب عن المنتظر)** .

وقد استساغت المرجعيات الفارسية هذه الفكرة وبدأت الحوزات تروج لهذه الفكرة ، ثم بدؤوا الترويج للخميني كأول إمام فقيه ينوب عن المنتظر .

إلا أن أعلاماً كبار من أعلام الشيعة وقفوا في وجه هذه البدعة الخمينية ، لأن أصول المذهب لا تؤيدها ولأنها تعد خروجاً عن فكرة المهدية والإمام المنتظر وفكرة الرجعة .

وبدأ السجال بين هؤلاء وبين الخميني ومناصريه ، إلا أن هوى المرجعيات الفارسية كانت مع الخميني ، وانتشرت الفكرة بسرعة في إيران ، ووزعت الكثير من المنشورات الورقية و أشرطة الكاسيت التي تروج لهذه الفكرة في شتى الأماكن التي يسكنها الشيعة .

وقد تحول أتباع الخميني إلى تنظيم سري واسع الانتشار في إيران والعراق ولبنان والخليج.

و بدأ هذا التيار يتعاظم و يدعو إلى الثورة الشاملة ، و قد تم لهم ما أرادوا في عام 1979م ، حيث قاموا بالثورة على شاه إيران وأسقطوا الشاه ، وأعلنوا لأول مرة قيام دولة جمهورية شيعية يحكمها الإمام الفقيه النائب عن المنتظر وهو الخميني ، وبدأ الخميني يدعو جميع الشيعة في العالم إلى بيعته ، وتقليده في دينهم وعباداتهم .

ولكن الأمر لم يرق للعديد من المرجعيات الدينية الشيعية الذين وقفوا في وجه الخميني ،

فقامت عصابات الحرس الثوري التي أنشأت بعد الثورة لحماية النظام الرافضي بتصفية الكثير من هؤلاء المعارضين .

وقد طالت الإعدامات والاغتيلات للعشرات من المرجعيات المعارضة .

وقد أقيمت محاكمات ثورية ضد الكثير من هذه المرجعيات ووجهت لهم التهم بمحاربة الثورة والتحريض على الانقلاب وتم تصفيتهم جميعاً ، لتسود فكرة الإمام الفقيه وتفرض على الجميع .

وقد رسم الخميني من خلال كتبه مخططاً محكماً للسيطرة على العالم الإسلامي يتمثل في السيطرة على إيران فالعراق والشام فمصر فتحرير الحرمين الشريفين من أهل السنة ، وبعد ذلك يزعم بأن إمامهم المنتظر سيرجع من غيبته الطويلة .

وبعد وفاة الخميني ، تولى الخامنئي منصب الإمام الفقيه ، وفصلت القيادة السياسية عن الولاية الدينية مع هيمنة الخامنئي على الرئيس وقدرته على تغييره وخلعه ونزع الشرعية منه .

ولقد عمل الخميني وخلفائه جاهدين لتحقيق مخططهم الرافضي البغيض فقاموا بالتعاون مع الأمريكان باسقاط الحكم البعثي في العراق والاستيلاء على الحكم فيها وأنشؤوا جيشاً شيعياً طائفياً سيطر على العراق وخيراتها ، واستقدم مليوني شيعي من إيران وأعطاهم جنسيات عراقية ، وأنشؤوا عصاباتٍ طائفيةٍ قتلت عشرات الآلاف من السنة ، وهجروا عوائل سنية بأكملها ، وسيطروا على عاصمة الإسلام بغداد وقاموا بتغيير البنية السكانية لها لتحويلها إلى مدينةٍ شيعيةٍ .

وفي سوريا تحالف النظام النصيري المجرم مع الثورة الرافضية منذ انطلاقتها ، و تعتبره إيران ذراعها الأيمن في المنطقة ، وعندما قامت الثورة السنية في سوريا التي أقضت مضجع الحكم النصيري الكافر سارعت إيران بإرسال الحرس الثوري والعديد من المليشيات الطائفية الإيرانية، وساندتها حكومة العراق الرافضية فأرسلت مليشيات الإجرام لتحتل أرض الشام وتدنسها برجسها ، وحالفهم حزب الشيطان اللبناني الرافضي .

وقد عمد المجرم النصيري بشار الأسد إلى استقدام الرافضة من كل مكان وأعطاهم الجنسية السورية ليغير البنية السكانية للشام السنية .

والأيام بيننا وبينهم دولٌ نسأل الله أن تدور الدائرة عليهم وأن يمكننا منهم فقد كثر شرهم ، وطما بغيهم حتى ضجت منهم الآفاق .

8- الشيعة الزيدية .

كانت أقرب الفرق إلى أهل السنة وهي أكثر الفرق اعتدالاً قبل اختراقها من قبل الرافضة ، تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

و الأئمة عند الزيدية هم : علي بن أبي طالب ، الحسن ، الحسين ، علي بن الحسين ، زيد بن علي ، و يعتقد الزيدية بأن هؤلاء الأئمة هم أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

نشأت الزيدية زمن الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي ، حيث دعا أهل الكوفة الإمام زيد بن علي رحمه الله إلى البيعة ، وزعموا له أن هناك مئة ألف سيف ستنضوي تحت جناحه ، فخرج زيد إلى الكوفة ، ولكن غرر به أهل الكوفة وانخذلوا عنه كما فعلوا بجده الحسين من قبل ، فحاصره الأمويون وقتلوه وصلبوه ، وتزعم الروايان الزيدية أنه صلب عارياً وجاءت العنكبوت فنسجت فوق سوءته وسترتها .

وبعد استشهاد زيد رحمه الله تشيع له مجموعة من الناس وتسموا باسمه .

تأثر زيد بن علي في عقيدته بالمعتزلة في مذهبه العقائدي ، فقد تتلمذ على واصل بن عطاء المعتزلي .

من تلامذة زيد بن علي أبو حنيفة النعمان .

ترك لنا الإمام زيد كتابا اسمه المجموع في الفقه والحديث .

أهم مبادئ الزيدية .

1- الإمام بعد رسول الله هو علي رضي الله عنه وليس أبو بكر أو عمر ، ولكنهم لا يكفرون الصحابة ولا يسبونهم لأن علي رضي بخلافتهم ولكنهم يعتقدون بأن أئمة أهل البيت أفضل من جميع الصحابة .

2- النبي لم يعين الخليفة بالاسم خلافاً للرافضة ، وإنما ذكر من أوصافه ما يفيد أنه علي رضي الله عنه .

3- جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، فصححوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان مع وجود علي خلافاً للرافضة .

4- لا يكفر الزيدية الصحابة ، ولا يسبوهم ، خلافاً للشيعة الجعفرية .

حتى أن زيداً رحمه الله لما كان في الكوفة اجتمع حوله عددٌ كبيرٌ من الشيعة ، وسألوه عن رأيه في أبي بكر رضي الله عنه فترضى عنه باعتباره جد أمه ، وسئل

عن عمر وعثمان فترضى عنهما ، فرفضوه وسبوه وانفضوا عنه وخذلوه ، وقالوا له : لو سببت أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير لنصرناك ، فقال لهم زيد : لقد رفضتموني ، فسموا لذلك **بالرافضة** .

ويزعم الرافضة أن الزيدية من سنة ، لذلك يسمون شيعة السنة ، أو سنة الشيعة .

و في هذه الأيام النحسات تمكنت إيران من السيطرة على الزيدية و بثت الأفكار الرافضية بينهم ، و أمدتهم بالمال والسلاح لإنشاء دولةٍ رافضيةٍ في صعدة ، ويقود هؤلاء الزيدية الرافضية الحوثي لذلك يسمون بالحوثيين ويجاهر هؤلاء بسب الصحابة.

وقد تمكن هؤلاء مؤخراً من السيطرة على شمال اليمن واحتلوا عاصمة الإسلام صنعاء واعتدوا على المسلمين وقتلو منهم الكثير ، كما طال عدوانهم القلعة العلمية الدعوية الرائدة _جامعة الإيمان _ نسأل الله أن يرد كيدهم في نحرهم وأن ينصر أهل الإسلام عليهم ليرتدوا إلى جحورهم التي خرجوا منها خائبين .

5-جواز مبايعة خليفتين في إقليمين إذا كانا متحليين بأوصاف الخلافة.

6-مرتكب الكبيرة مخلد في النار ما لم يتب وهذ الفكرة أخذوها من المعتزلة .

7-لا يقولون بعصمة الأئمة ولا اختفائهم ولا غيبتهم ولا رجعتهم وينكرون فكرة المهدية .

8-لايعتقد الزيدية بالتقية خلافاً للرافضة .

9-<u>الشيعة الباطنية</u>.

عقيدة هذه الفرقة مزيجٌ من العقائد الإسلامية والشيعية والهندية والبوذية والفلسفية .

سميت بالباطنية لأنها تقول أن الشريعة التي بين أيدينا لها ظاهرٌ وباطنٌ ، الظاهر للعوام ، أما الباطن فهو عند الإمام المعصوم وأولاده وأتباعه .

وقالوا بأن العبادات الظاهرة من صيام وصلاة وزكاة ليست مطلوبة وليس المقصود بها ظاهر ما يقوم به العوام أو ما ذكرته الشريعة ، فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يقومون بأي نوع من العبادات .

اخترعوا لأنفسهم العديد من الطقوس الخاصة بهم بعدما أسقطوا عبادات الإسلام .

فالغسل مثلاً ليس معناه الغسل الظاهر بل معناه صفاء السر .

والصلاة لها معنى آخر .

وبذلك أسقطوا جميع الفرائض ، وفي المقابل أباحوا جميع المحرمات من خمر وزنا وغيرها وذلك بعد أن

أفرغوها من معناها الشرعي .
من عقائدهم أيضاً خفاء الأئمة واتصالهم بشكل سري مع المشايخ من نقباء ونجباء ويتلقون منهم التعاليم ، وهذه التعاليم في كتب سرية يمنع من الاطلاع عليها أو نشرها .
ويؤمن هؤلاء أيضاً بالتقمص وتناسخ الأرواح .
وقد أبدع الإمام الغزالي في الرد عليهم ونسف عقائدهم من خلال كتابه (فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية).
والباطنية أخبث فرقة ابتلي بها الإسلام والمسلمون ، وقد نال المسلمين منها البلاء العظيم ، وما زالوا يعانون منها إلى وقتنا الحاضر .
وهذه الفرقة كانت وما تزال خنجراً مسموماً في خاصرة العالم الإسلامي .
يقول عنها البغدادي رحمه الله في كتابه الفرق بين الفرق : (اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال من وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يوماً وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر).
واستطاعت هذه الفرقة ببسبب ضعف الدولة العباسية أن تؤسس الدولة الفاطمية (العبيدية) التي استعمرت بلاد المسلمين (مصر والشام والحجاز وشمال إفريقيا) لفترةٍ طويلةٍ جداً حتى سقطت على يدي صلاح الدين الأيوبي رحمه الله .
ومن هذه الفرقة نشأت عصابة القرامطة التي احتلت الخليج العربي فترة من الزمن ، وقطعت طريق الحج ، وذبحت الحجاج في الحرم ، وسرقت الحجر الأسود لفترة طويلة من الزمن .
وقد وصف ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية عداوتهم ووقيعتهم بالمسلمين حينما قادهم أبو طاهر الجنابي ووصلوا إلى مكة، والناس في الحج آمنون مطمئنون...قال عن ذلك:
(فانتهب أموالهم، واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام، في الشهر الحرام، في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول: ((أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا)). فكان الناس يفرّون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون وهم في الطواف...))) إلى أن قال:

(فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره، وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثيراً منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرام. وهدم قبّة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه...)) وقد ذهب ضحية هذه المذبحة قرابة ثلاثة عشرة ألف نسمة.
وقد تفرقت الباطنية إلى العديد من الفرق منها:التعليمية والإباحية والقرامطة والمزدكية والخرمية والإسماعيلية والدروز والنصيرية .

أ- الإسماعيلية .

تنتسب هذه الفرقة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
فالأئمة عندهم هم : علي بن أبي طالب ، الحسين ، علي بن الحسين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، إسماعيل بن جعفر لذلك سموا بالإسماعيلية .
وهذه الفرقة تقول أن الشريعة التي بين أيدينا لها ظاهر وباطن ، الظاهر للعوام ، أما الباطن فهو عند الإمام المعصوم وأولاده وأتباعه .
وقالوا بأن العبادات الظاهرة من صيام وصلاة وزكاة ليست مطلوبة وليس المقصود بها ظاهر ما يقوم به العوام أو ما ذكرته الشريعة ، فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يقومون بأي نوع من العبادات .
اخترعوا لأنفسهم العديد من الطقوس الخاصة بهم بعدما أسقطوا عبادات الإسلام .
وبذلك أسقطوا جميع الفرائض ، وفي المقابل أباحوا جميع المحرمات من خمر وزنا وغيرها.
وتنتشر هذه الفرقة في السلمية وسهل الغاب في سوريا ، وطاجاكستان ، وقائدهم الروحي هو الملياردير آغا خان .
و للإسماعيلية عدة فرق :
أولاً: الإسماعيلية القرامطية: كان ظهورهم في البحرين والشام بعد أن شقُّوا عصا الطاعة على الإمام الإسماعيلي نفسه ونهبوا أمواله ومتاعه فهرب من سلمية في سوريا إلى بلاد ما وراء النهر خوفاً من بطشهم.
ومن شخصياتهم: عبد الله بن ميمون القداح: ظهر في جنوبي فارس سنة 260هـ.
و الحسن بن بهرام (أبو سعيد الجنابي): ظهر في البحرين ويعتبر مؤسس دولة القرامطة ثم جاء ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام (أبو طاهر) الذي حكم ثلاثين سنة، وفي عهده حدث التوسع والسيطرة وقد هاجم الكعبة المشرفة سنة 319هـ وسرق الحجر الأسود وأبقاه عنده لأكثر من عشرين سنة.
ثانياً: الإسماعيلية الفاطمية: وهي الحركة الإسماعيلية الأصلية وقد مرت بعدة أدوار:

دور الستر: من موت إسماعيل سنة 143هـ إلى ظهور عبيد الله المهدي.

بداية الظهور: بدأ الظهور بالحسن بن حوشب الذي أسس دولة الإسماعيلية في اليمن سنة 266هـ وامتد نشاطه إلى شمال أفريقيا واكتسب شيوخ كتامة.

يلي ذلك ظهور رفيقه علي بن فضل الذي ادعى النبوة ، وأعفى أنصاره من الصوم والصلاة.

دور الظهور: يبدأ بظهور عبيد الله المهدي الذي كان مقيماً في سلمية بسوريا ثم هرب إلى شمال أفريقيا واعتمد على أنصاره هناك من الكتاميين.

أسس عبيد الله أول دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بإفريقية (تونس) واستولى على رقادة سنة 297هـ وتتابع بعده الفاطميون وهم: المنصور بالله ، المعز لدين الله وفي عهده سقطت مصر سنة 361هـ وانتقل إليها المعز في رمضان سنة 362هـ ، العزيز بالله ، الحاكم بأمر الله ، الظاهر ، المستنصر بالله ، وبوفاته انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى نزارية شرقية ومستعلية غربية ، والسبب في هذا الانقسام أن الإمام المستنصر قد نص على أن يليه ابنه نزار لأنه الابن الأكبر. لكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحَّى نزاراً وأعلن إمامة المستعلي وهو الابن الأصغر كما أنه في نفس الوقت ابن أخت الوزير. وقام بإلقاء القبض على نزار ووضعه في سجن وسدَّ عليه الجدران حتى مات.

استمرت الإسماعيلية الفاطميَّة المستعلية تحكم مصر والحجاز واليمن والأئمة هم:

المستعلي ، الظافر ، الفائز ، العاضد في عهده زالت دولتهم على يدي صلاح الدين الأيوبي.

ثالثاً: الإسماعيلية الحشاشون: وهم إسماعيلية نزارية انتشروا بالشام، وبلاد فارس والشرق، ومن أبرز شخصياتهم: الحسن بن الصباح: وهو فارسي الأصل وكان يدين بالولاء للإمام المستنصر قام بالدعوة في بلاد فارس للإمام المستور ثم استولى على قلعة آلموت وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية .

وهم الذين عرفوا بالحشاشين لإفراطهم في تدخين الحشيش، وقد أرسل بعض رجاله إلى مصر لقتل الإمام الآمر بن المستعلي فقتلوه مع ولديه عام 525هـ. توفي الحسن بن الصباح عام 1124م.

وتوالى بعده الأمراء و كان أخرهم ركن الدين خورشاه الذي قتله هولاكو المغولي وأسقطت قلاعهم فتفرقوا في البلاد وما يزال لهم أتباع إلى الآن.

رابعاً: إسماعيلية الشام: وهم إسماعيلية نزارية، أبقى هؤلاء خلال على عقيدتهم يجاهرون بها في قلاعهم وحصونهم غير أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة ولا يزالون إلى الآن في منطقة سلمية بالذات وفي مناطق القدموس ومصياف وبانياس والخوابي والكهف.

ومن شخصياتهم (راشد الدين سنان) الملقب بشيخ الجبل، وهو يشبه في تصرفاته الحسن بن الصباح، ولقد كون مذهب السنانية الذي يعتقد أتباعه بالتناسخ فضلاً عن عقائد الإسماعيلية الأخرى.

خامساً: الإسماعيلية البهرة: وهم إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب ولذا يسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا **بالبهرة**، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر.

الإمام الطيب دخل الستر سنة 525هـ والأئمة المستورون من نسله إلى الآن لا يعرف عنهم شيئاً، حتى إن أسماءهم غير معروفة،وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفونهم.

انقسمت البهرة إلى فرقتين:

ـ البهرة الداوودية: نسبة إلى قطب شاه داوود: وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي.

. البهرة السليمانية: نسبة إلى سليمان بن حسن وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم.

سادساً: الإسماعيلية الأغاخانية: ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وترجع عقيدتهم إلى الإسماعيلية النزارية، ومن شخصياتهم:

حسن علي شاه: وهو الأغاخان الأول: الذي استعمله الإنجليز لقيادة ثورة تكون ذريعة لتدخلهم فدعا إلى الإسماعيلية النزارية، ونفي إلى أفغانستان منها إلى بومباي وقد خلع عليه الإنجليز لقب آغاخان،مات سنة1881م ، تلاه أغا علي شاه وهو الأغاخان الثاني ثم ابنه محمد الحسيني: وهو الآغاخان الثالث:1885م . 1957م، وكان يفضل الإقامة في أوروبا وقد رتع في ملاذ الدنيا وحينما مات أوصى بالخلافة من بعده لحفيده كريم مخالفاً بذلك القاعدة الإسماعيلية في تولية الابن الأكبر ، كريم: وهو الآغاخان الرابع: من 1957م ، وقد درس في إحدى الجامعات الأمريكية.

سابعاً: الإسماعيلية الواقفة: وهي فرقة إسماعيلية وقفت عند إمامة محمد بن إسماعيل وهو أول الأئمة المستورين وقالت برجعته بعد غيبته.

الأفكار والمعتقدات الإسماعيلية

1- ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر وقد حدث خروج على هذه القاعدة عدة مرات.

2-العصمة لديهم ليست في عدم ارتكاب المعاصي والأخطاء بل إنهم يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقداتهم.

3-من مات ولم يعرف إمام زمانه ولم يكن في عنقه بيعة له مات ميتة جاهلية.

4- يضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله ، ويخصونه بعلم الباطن ويدفعون له خُمس ما يكسبون.

5-يؤمنون بالتقية والسرية ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث.
6-الإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته.
7-الأرض لا تخلو من إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور فإن كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً، وإن كان الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين.
8-يقولون بالتناسخ ، والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبقه من الأئمة.
9-ينكرون صفات الله أو يكادون لأن الله في نظرهم فوق متناول العقل ، فهو لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفي المطلق فهو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم وليس بالمحدث فالقديم أمره وكلمته والحديث خلقه وفطرته.

<u>ومن عقائد البهرة:</u>

1- لا يقيمون الصلاة في مساجد المسلمين.
2- ظاهرهم في العقيدة يشبه عقائد سائر الفرق الإسلامية المعتدلة و باطنهم شيء آخر فهم يصلون ولكن صلاتهم للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب بن الآمر.
3- يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين لكنهم يقولون: إن الكعبة هي رمز على الإمام.
4- كان شعار الحشاشين (لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح) ووسيلتهم الاغتيال المنظم والامتناع بسلسلة من القلاع الحصينة.
5- يقول أبو حامد الغزالي عنهم: (المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم).
6- يعتقدون أن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً بل كان ذلك عن طريق العقل الكلي الذي هو محل لجميع الصفات الإلهية ويسمونه الحجاب، وقد حل العقل الكلي في إنسان هو النبي وفي الأئمة المستورين الذين يخلفونه فمحمد هو الناطق وعلي هو الأساس الذي يفسر.

<u>مناطق انتشار الإسماعيلية .</u>

- الإسماعيلية الآغاخانية يسكنون نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكنغو والهند وباكستان وسوريا ومركز القيادة لهم في مدينة كراتشي بباكستان.
- والبهرة استوطنوا اليمن والهند والسواحل القريبة المجاورة لهذين البلدين.
- وإسماعيلية الشام: في السلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف.

ب- الدروز (الموحدون).

هذه الطائفة هي إحدى فرق الباطنية الإسماعيلية الغلاة الذين ألهوا الحاكم بأمر الله العبيدي ، وجحدوا كل ما أخبر الله به؛ من يوم القيامة والثواب والعقاب، وقالوا بالتناسخ الذي يسمونه التقمص مخالفة للنصيرية، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر ، ولقد حذر علماء المسلمين من هذه الطائفة أشد تحذير.

يقول عنهم العلامة السفاريني وعن كتبهم ووجوب إتلافها هي وجميع كتب أهل الكفر: (وكتب أهل الكفر لا سيما كتب الدروز عليهم لعنة الله عليهم ، فقد نظرت في بعضها فرأيت العجب العجاب، فلا يهود ولا نصارى ولا مجوس مثلهم؛ بل هم أشد من علمنا كفراً لإسقاطهم الأحكام وإنكارهم القيامة وزعمهم أن الحاكم العبيدي الخبيث رب الأنام) .

تنسب هذه الطائفة إلى أحد دعاة الباطنية الذين قالوا بألوهية الحاكم العبيدي، ويسمى هذا الداعي محمد بن إسماعيل، ويقال له: درزي، من أصل فارسي ويعرف بـ (نشتكين) ، قدم إلى مصر ودخل في خدمة الحاكم ثم كان أول من أعلن ألوهية ذلك الحاكم المفتون، وساعده في ضلالته حمزة بن علي الزوزني من أهالي زوزن بإيران، وكان له الأثر البارز في تاريخ الدروز فيما بعد، بل هو زعيم المذهب الدرزي ومؤسسه.

وقد بدأ درزي في إعلان مذهبه الهدام بتأليف كتاب أعلن فيه ألوهية الحاكم، ثم جاء به إلى أشهر مكان في القاهرة؛ الجامع الأزهر وبدأ يقرأه على الناس فأحدث ضجة يبن الناس. وثارت غيرتهم الإسلامية وأرادوا قتله فهرب- أو هربه الحاكم- من مصر إلى جبال لبنان، حيث أخذ ينشر مذهبه إلى أن هلك سنة 410هـ مقتولاً.

و الدعوة إلى تأليه الحاكم بدأت في حدود سنة 400هـ سرية، فلما أنس أشرار الدعوة من قوتهم أظهروها، وكان أول من أظهرها محمد بن إسماعيل الدرزي ((نشتكين)) ليحظى بسبق التقدم بها إلى الحاكم وتجاهل زميليه في الخيانة وهما حمزة بن علي الزوزني والحسن بن حيدرة الفرغاني كبار شياطين الدعوة الإسماعيلية، الذين استولوا على عقل الحاكم وحولوه إلى عقائدهم المجوسية الوثنية التي تجعل من الحكام آلهة.

وقد صار حمزة فيما بعد صاحب الميدان وله الكلمة النافذة والطاعة التامة، حيث صارت الدولة رهن إشارته بعد أن طابت أفكاره في نظر الحاكم الذي وقف من ورائه بكل ثقله لتتم دعوى الألوهية والتقمص الإلهي في شخصه.

من هو الحاكم بأمر الله الذي ألهه الدروز؟

هذا الشخص هو أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي لقب بالحاكم بأمر الله، ولد سنة 375هـ وتولى الملك بعد موت أبيه في رمضان سنة 386هـ، وكان سادس الملوك العبيديين تولى الملك وعمره إحدى عشرة سنة.

ادعى الألوهية بمساندة حمزة بن علي، وغيره من ملاحدة الإسماعيلية سنة 408هـ، إلى أن قتل سنة 411هـ، ويذكر المؤرخون لهذا الحاكم أنه كان أسطورة في سفك الدماء وإرهاب الناس وكانت له مواقف متناقضة عجيبة وله غرائب كثيرة.

ومن غرائبه أنه كان دائماً يفتك بوزرائه ويقتلهم شر قتلة، يعين أحدهم في منصبه ثم يقتله ويعين آخر، فلا تمضي فترة بسيطة إلا وهو يتشحط في دمه، وقد قتل من العلماء والكتاب ووجوه الناس ما لا يحصى.

لقد كان الحاكم نفسه مثال الشذوذ، فقد كانت له تصرفات غريبة غير مفهومة فقد لبس الصوف سبع سنين وامتنع من دخول الحمام وأقام سنين يجلس في ضوء الشمع ليلاً ونهاراً. ثم عنَّ له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة .

ومن تناقضاته أنه مرة يأمر بسب الصحابة وبكتابة ذلك في المساجد، ثم يعود فيأمر به أن يمحى. وقد بنى المساجد الكثيرة ثم منع من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها وأراق خمسة آلاف جرة من العسل في البحر خوفاً أن تعمل نبيذاً، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلاً ونهاراً. ثم أمر بقتل الكلاب كلها ثم عاد فمنع من ذلك، وهكذا كانت حياته مليئة بالمتناقضات والشذوذ وقد أثبت حمزة كثيراً من تناقضات الحاكم وتصرفاته المجانبة للعقل ثم أجاب عن كل ذلك تأويلات باطنية.

ويقول السيوطي: ((إن الحاكم أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفاً إعظاماً لذكره واحتراماً لاسمه، فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين.

وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجداً حتى إنه يسجد بسجودهم في الأسواق وغيرها، وكان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً كثير التلون في أقواله وأفعاله))

وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له وكان لا يركب إلا حماراً –فمن وجده قد غش في معيشة أمر عبداً له يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى وهو منكر لم يسبقه إليه أحد، وأما القتلى فقد قدر بعض العلماء ضحايا الحاكم بثمانية عشر ألف شخص من مختلف الطبقات.

لقد شغف الحاكم بالطواف بالليل؛ خصوصاً في جنبات جبل المقطم بالقاهرة ينظر في النجوم ويخلو بنفسه.

وفي ليلة الاثنين 27 شوال سنة 411هـ خرج كعادته للطواف في هذا الجبل وليس معه إلا رجل وصبي، ولكنه لم يرجع إلى بيته، ومن هنا وقع الخلاف بين الناس في شأنه.

فقيل : إن أخته ست الملك قد دبرت لأنها خافت على نفسها من بطشه؛ إذ اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال فآثرت أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها ودفنته في مجلس دارها ، وبعض العلماء ينكر أن تكون أخته قتلته.

أهم عقائد الدروز.

1- ألوهية الحاكم .

أسبغ الدروز على شخصية الحاكم أوصافاً لا تكون إلا لله عز وجل، مدَّعين أن الحاكم له حقيقة لاهوتية وظهر بناسوته ليقيم الحجة على عباده، وأن أفعاله المتناقضة له فيها حكمة .

مع أن الدروز أحياناً يتظاهرون أمام خصومهم بالموافقة لهم ويتواصون بكتمان تأليه الحاكم عندما لا يقدرون على إظهار ذلك وللداخل في هذا المذهب عهد لابد أن يقوله ويردده.

وفيه التصريح ببيع الشخص الداخل نفسه للحاكم، وأن يخلص في عبادته وأن يتبرأ من جميع الأديان غير هذا الدين –الدرزي– وأول العهد يقول: ((آمنت بالله ربي الحاكم العلي الأعلى رب المشرقين ورب المغربين)).

ورسائل حمزة كثيرة يثبت فيها ألوهية الحاكم أخذ جميع صفات الله عز وجل وأحكامه وما يليق به وما لا يليق به وجعلها للحاكم، وادعى أن الشرك معناه عدم توحيد الحاكم.

ومن عقائد الدروز أن الحاكم يتشكل في كل عصر ودور بصور أناس من أجل مصلحة الناس ومراعاة لحالهم، وليس المشاهير في تلك العصور أناس غير الحاكم؛ بل هم الحاكم تصور بصور واتخذ له تلك الأسماء الإنسية ليتعرف خلقه إليه تفضلاً ورحمة منه على عباده.

ولا يقصر الدروز الألوهية على الحاكم فقط؛ بل أطلقوها على كثير من آبائه ومن كبار رؤسائهم على مقتضى اعتقادهم أن الله يظهر للناس بين فترة وأخرى في صور بشرية .

2- القول بالتناسخ .

يعتقد الدروز بالتناسخ أو التقمص كما يسمونه، ومعناه عندهم: انتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر. والجسم قميص للروح التي لا تموت أبداً بل تتقمص أجساماً أخرى في كل نقلة، فنفس الموحد تنتقل إلى موحد ونفس المشرك إلى مشرك، ومن هنا زعموا أن عدد سكان العالم غير قابل للزيادة ولا النقصان منذ بدء الخليقة، ويبقى على هذه الحال إلى الأبد فهم لا يزيدون ولا ينقصون وكل من مات انتقلت روحه إلى جسد جديد دائماً.

ومفهوم التناسخ عند الدروز يختلف عن مفهومه عند الآخرين من القائلين بالتناسخ كالنصيرية مثلاً.

فالدروز يقصرون التناسخ بين الأجسام البشرية فقط، بينما هو عند النصيرية لا ينحصر فقط بين البشر، بل وقد يكون أحياناً بينهم وبين البهائم، حيث تنتقل الأرواح فتحل في أي جسم، جسم بهيمة أو غيرها.

والدروز يكرهون لفظ التناسخ ويستبدلونه بلفظ التقمص.

وحقيقة العذاب عند الدروز معناه أن الإنسان يعذب بنقله من درجة عالية إلى درجة دونها، ثم يستمر في هذا الهبوط إلى أقل الدرجات ويعذب في كل دور بأنواع العذاب التي هي عذاب الضمير وعذاب الندم على ما فات، لأنها لم تنتفع من أدوارها الماضية.

3- إنكار القيامة .

لا يؤمن الدروز بيوم القيامة فلا حساب ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب في الحياة الآخرة، وإنما يتم ذلك كله في الدنيا عن طريق التقمص وما تلاقيه الروح في تقمصها من النعيم أو العقاب، إلا أنهم ينتظرون يوماً يجيء الحاكم في صورة ناسوتية مرة أخرى، ويدين له كل أهل الأديان بالتوحيد والطاعة كما يزعمون، يخرج من بلاد مصر –كما يرى حمزة– أو من بلاد الصين من سد الصين العظيم، وحوله قوم يأجوج ومأجوج القوم الكرام أو المؤمنين بالحاكم كما يسمونهم.

ويتضح حقد هؤلاء على الإسلام والمسلمين في زعمهم أن الحاكم إذا جاء يأتي إلى الكعبة ويهدمها ويفتك بالمسلمين والنصارى في جميع الأرض حيث يحاسبهم حمزة حساباً شديداً.

وتذكر كتب الدروز أن ذلك سيكون في شهر جمادى أو رجب ويسبق مجيئه علامات منها :

1- عندما يتسلط اليهود والنصارى على البلاد.
2- وعندما يأتي المسيخ الدجال في صورة رومي يجتمع الروم حوله ويخرب حلب.
3- ثم يظهر المسيح بن يوسف في أرض مصر ، ويملك اليهود بيت المقدس ثم ينتقمون من سكان القدس وعكا، ثم يقوم المسيح بن يوسف، ثم يطرد اليهود من بيت المقدس.

ولهذا فهم يفرحون باستيلاء اليهود على بيت المقدس وبتسلط النصارى على المسلمين بل وظهور الفواحش كلها ليظهر ربهم الحاكم ويكون المجازي للعباد في هذا اليوم هو حمزة يأخذ مال المخالفين ويعطيه لأتباعه الموحدين .

4- عداوتهم للأنبياء .

يحقد الدروز على الأنبياء حقداً شديداً وينكرون فضائلهم، بل ونسبوهم إلى الجهل، لأنهم يدعون الناس بزعمهم إلى توحيد المعدوم –تعالى الله عن قولهم– وما عرفوا المولى الموجود –أي الحاكم بأمر الله–.

ويحقدون على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً لأنه أوجب الجهاد، بينما إلههم الحاكم قد أبطله، وسبوا الصحابة وخصوصاً من أطفأ نار المجوسية منهم كأبي بكر، وعمر، وغيرهما من خيار الصحابة.

والدروز لا يؤمنون بالكيفية التي أخبر الله بها عن بدء الخلق، فأنكروا أن يكون آدم هو أبو البشر وحواء أمهم مدعين أن آدم وحواء من نسل بشر أيضاً .

5- <u>إنكارهم التكاليف .</u>

لا يؤمن الدروز بوجوب القيام بتلك التكاليف التي جاء بها الشرع في القرآن الكريم وفي السنة النبوية. واتخذوا لهم فرائض أطلقوا عليها الفرائض التوحيدية وهي معرفة الباري وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء ...ثم معرفة الإمام قائم الزمان وهو حمزة بن علي بن أحمد وتمييزه عن سائر الحدود ووجوب طاعته طاعة تامة، ثم معرفة الحدود بأسمائهم وألقابهم ومراتبهم ووجوب طاعتهم. فإذا اعترف الإنسان بهذه الفرائض التوحيدية الثلاثة أصبح موحداً، وليس عليه أن يقوم بتكاليف أي فريضة من الفرائض.

ومعنى هذا أن شريعة الدروز تتلخص في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية .

ويعتقدون أيضاً أنهم موجودون منذ الأزل، واعتنقوا كثيراً من الديانات على مر الدهور كان آخرها الإسلام، ثم تحولوا عنه إلى دين مستقل هو الدين الدرزي الذي يجدده الأقطاب من زمن إلى زمن .

ومن هنا فإن الدروز أخذوا في الدعوة إلى إسقاط التكاليف بتأويلاتهم الباطنية ، فقد أوَّل حمزة النصوص على هواه مجانباً المفاهيم الإسلامية والباطنية أيضاً في كتابه النقض الخفي.

فالصلاة: معناها صلة قلوب الدروز بعبادة الحاكم على يد خمسة حدود هم أنبياء الحاكم الخمسة: حمزة وإسماعيل ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاء الدين علي بن أحمد السموقي، وهؤلاء هم أشهر دعاة الدروز، ومعرفة هؤلاء وحبهم هي الصلاة عند الدروز.

أما الصلاة المعروفة عند المسلمين فقد أبطلها حمزة، ومن هنا فإنهم لا يؤدونها بل وتظاهروا في هذا الزمن –كما يذكر عنهم العارفون بهم– بحرب إقامة المساجد ومنعوها ومنعوا المسلمين الموجودين بينهم من بنائها، وأقاموا عوضاً عنها الخلوات التي يجتمعون فيها لإقامة طقوسهم.

والزكاة معناها عبادة الحاكم وتزكية قلوبهم وتطهيرها وترك ما كانوا عليه قبل معرفة الحاكم في ظهوره الجديد.

والصوم معناه صيانة قلوبهم – التي هي من أردأ القلوب – بتوحيد مولاهم الحاكم، وقد ذكر محمد حسين أن الدروز يصومون في أيام خاصة وهي التسعة الأيام الأولى من شهر ذي الحجة.

والحج معناه توحيد الحاكم لا المجيء إلى مكة والطواف والسعي والرمي والوقوف بعرفة إلى آخر مشاعر الحج.

والجهاد: معناه السعي والاجتهاد في توحيد الحاكم ومعرفته وعدم الإشراك به لا الجهاد الذي فرضه الله؛ لأن الحاكم أبطله في الشرع الجديد.

كتمان الدروز لعقيدتهم

والدروز يتكتمون على عقائدهم أشد التكتم، وهم لا يسمحون لأحد أن يدخل في مذهبهم ولا يعترفون بخروج أحد منه، ولهذا الموقف فإن من أفشى شيئاً من عقائد الدروز فإنه يقتل.

من ذلك أن الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض كتب في مجلتي المنهل وراية الإسلام اللتين كانتا تصدران في جدة والرياض عنهم بعض الحقائق، ورد على من يسميهم مسلمين فقامت قيامة الدروز على الفياض وسبوه بأقذع السباب، وأصدر شيخ العقل في لبنان فتوى ضده ونشروا ذلك في عدة صحف.

وقد قام أحد علماء الدروز ويسمى عبد الله النجار بإصدار كتابه مذهب الدروز والتوحيد، وبيَّن حقيقة هذا المذهب، فقامت ضجة حوله وحول كتابه، وحاكمه مشائخ الدروز لفضحه أسرار المذهب، وجمعوا نسخ الكتاب من الأسواق وأحرقوها وقد استغلوا أحداث لبنان واغتالوا النجار.

أماكن الدروز

ينتشر الدروز في بلاد الشام ففي سوريا يسكنون في محافظة السويداء في جبل الدروز أو جبل العرب كما يقال له.

و في لبنان: ويسكنون في عدة مناطق منه؛ في الشحار والمناصف، وفي الجرد، وفي العرقوب والباروك والجرد الشمالي، وفي الشوف.

وفي فلسطين عند جبل الكرمل وصفد.

وفي العديد من قرى الجولان المحتل .

والدروز في إسرائيل من أخلص الناس لليهود، وتعاملهم إسرائيل أيضاً بالمثل لمعرفتهم بعمالتهم التامة لهم ولإسرائيل مشاريع كثيرة في قراهم وفي مدنهم ، وقد سلمتهم السلاح وألَّفت منهم دوريات على حدودها مع لبنان لثقتهم بهم.

النظام الاجتماعي عند الدروز.

ينقسم الدروز من الناحية الدينية إلى : عقال أو أجاويد أي الذين لهم الحق في معرفة شيء من العقيدة السرية، وبين جهال أي الذين ليس لهم الحق في معرفة أسرار الدين.

والعقال ينقسمون بدورهم إلى درجات ثلاث؛ ففي مساء كل يوم جمعة يجتمع العقال في أماكن العبادة التي تعرف بالخلوات (جمع خلوة) بسماع ما يتلى عليهم من الكتاب المقدس، وبعد تلاوة المقدمات يخرج من الخلوة الطبقة الدنيا من العقال، ثم بعد تلاوة بعض الرسائل البسيطة التي ليس بها تأويلات تخرج الطبقة الثانية بحيث لا يبقى إلا رجال الدرجة الأولى الذين لهم وحدهم الحق في سماع الأسرار العليا للعقيدة.

أما الجهال فلا يسمح لهم بحضور هذه الخلوات أو بسماع شيء من الكتب المقدسة إلا في يوم عيدهم، وهو يوافق عيد الأضحى عند المسلمين، على أن طبقة الجهال يسمح لهم بأن ينتقلوا إلى طبقة العقال بعد امتحان عسير شاق يقوم على ترويض النفس وإخضاع شهواتها مدة طويلة؛ إذ لا يقبل في طبقة العقال من يدمن التدخين مثلاً، وقد يستمر الامتحان أكثر من سنة بأكملها حتى يثق الشيوخ بأحقية الطالب أن ينتقل من طبقة الجهال إلى طبقة العقال.

والعقال في المجتمع الدرزي يعرفون بعمائمهم ولبس القباء الأزرق الغامق ويطلقون لحاهم، على أن الذين يسند إليهم وظائف حكومية يباح لهم ترك هذه الملابس وارتداء الزي الذي يتطلبه منصبه الرسمي.

والنساء في المجتمع الدرزي ينقسمن أيضاً إلى عاقلات وجاهلات مثل الرجال تماماً، لا فرق بين المرأة والرجل، والنساء العاقلات يلبسن النقاب وثوباً اسمه صاية .

وللدروز رؤساء دينيون في كل مكان، على رأسهم شيخ يلقب بشيخ العقل ويتولى منصبه بالانتخاب أو بالاتفاق بين الزعماء وكبار رجال الطائفة، ولشيخ العصر أعوان في كل قرية أو بلد هم شيوخ عقل محليون.

وشيوخ العقل في لبنان ينقسمون إلى حزبين سياسيين هما الشيوخ الجنبلاطية والشيوخ اليزبكية ، بينما ينقسم الدروز عامة في لبنان مدنياً إلى أمراء ومشائخ وعامة، فالأمراء هم آل أرسلان ، والمشائخ هم الجنبلاطية واليزبكية .

ج-الفرقة النصيرية

ظهرت هذه الفرقة في القرن الثالث للهجرة انشقت عن فرقة الإمامية ، وهي تنتسب إلى محمد بن نصير النميري، وكنيته أبو شعيب، وكان من الرافضة ، وأصله من فارس، ثم انفصل عنهم إثر نزاعٍ بينه وبينهم على ثبوت صفة الباب له، حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر فلم تقرّ له الإمامية بذلك فانفصل عنهم وكوّن له طائفة وقد ظل زعيماً لطائفته إلى أن هلك سنة 260هـ، وقد كان فيما يقول علماء الفرق –مولى للحسن العسكري– الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية– ولقد كان للحسن العسكري موقف شديد منه ومن آرائه الكفرية.

وقد أجمعت كتب الشيعة على ذكر دعوى ابن نصير أنه الباب ثم النبوة ثم القول بألوهية علي، وإباحته المحارم، والقول بالتناسخ كما استوعب عبد الحسين الشيعي أخباره في كتابه ((العلويون أو النصيرية)) نقلاً عن أهم مصادرهم مثل سعد القمي ، والنوبختي ، وأبو عمر الكشي، وأبو جعفر الطوسي ، والحلي والطبرسي.

ويؤكد أحد علماء الشيعة وهو محمد رضا شمس الدين الذي زار النصيرية سنة 1376هـ للتعرف على أحوالهم موفداً من أحد المراجع الدينية في النجف عبد الهادي الشيرازي؛ أن النصيرية لا يزالون إلى اليوم يتمسكون بأفكار زعيمهم محمد بن نصير، وذكر أنه حينما زارهم رحبوا به أجمل ترحيب، ولكنه لاحظ عدم اكتراثهم بفرائض الدين من صلاة وحج وعدم وجود مساجد في منطقتهم، كما لاحظ أن فكرة تناسخ الأرواح لا تزال منتشرة بينهم وهم يسمونها تقمص الأرواح)

ومن الجدير بالذكر أن الرافضة قد توجهت نحو جميع فرق الباطنية كالنصيرية وغيرهم من سائر الغلاة– وجهة جديدة وهي احتواء جميع تلك الفرق وصهرها في بوتقة المذهب الاثني عشري؛ فقد نادوا بأن النصيرية العلوية هم شيعة أهل البيت ، وهو ما أكده الشيرازي في كتابه (العلويون شيعة أهل البيت) ووقوف العلويون إلى جانب الرافضة في عصرنا الحاضر أقوى شاهد.

وبعد وفاة ابن نصير تناوب على زعامة النصيرية عدة أشخاص أثروا المذهب النصيري بأفكارهم من أبرزهم أبو محمد الجنبلاني، وتلميذه الحسين بن حمدان الخصيبي، ومحمد ابن علي الجلي، وعلي الجسري، والميمون –ابن سرور بن قاسم الطبراني، وحسن المكزون السنجاري وبعد وفاة المكزون تفرق النصيريون إلى عدة مراكز دينية غير مرتبطة ببعضها البعض، يتبوأ كل منها لمرجع ديني يطلقون عليه لقب الشيخ، واستقل كل شيخ برئاسة مركز صغير إلى استطاعوا بالأمس القريب وفي غفلة المسلمين من السيطرة على نظام الحكم في سوريا، فعادت لهم سطوتهم وقوتهم مرة أخرى يتحكمون بها في رقاب المسلمين .

ولكنهم في هذا الظهور الجديد اتخذوا لهم أسماء براقة خادعة مثل حزب البعث الاشتراكي، ودعوى التقدمية والتحرر، وما إلى ذلك، وهم إنما غيروا الاسم لإبعاد الأنظار عن حقيقتهم قدر الإمكان ولجلب الساقطين إلى صفوفهم.

أسماء النصيرية وفرقهم .

يطلق على هذه الفرقة اسم النصيرية ، ومن الأسماء المحبوبة عندهم اسم (العلويين) وهم يحبون هذا الاسم ويتمنون أن يطلقه الناس عليهم ، وقد أخذت هذه التسمية من عبادة هؤلاء لعلي رضي الله عنه وتأليههم له ، وقد ارتاحوا لهذا الاسم ليخلصهم مما علق تاريخياً باسم النصيرية من ذم وتشنيع وتكفير، كما أنها تفتح لهم آفاق أرحب للتقارب مع الشيعة.

ومن الأسماء التي تطلق عليهم النميرية والمرشدية والتختجية والحطابون .

ومن فرقهم أيضاً الكلازية أو القمرية لأنهم يعتقدون أن علياً حل في القمر ، ويرون أن الإنسان إذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر.

ومن فرقهم الغيبية و هم الذين قالوا: إن الله تجلى في علي ثم غاب عن البشر واختفى، والزمان الحالي هو زمان الغيبة، ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي ، ثم سميت بعد ظهور زعيم منهم سمي علي حيدر (الحيدرية).

ومن فرقهم الماخوسية ، والنياصفة في بلدة نيصاف بلبنان .

أهم عقائد النصيرية .

1- تأليه علي رضي الله عنه.

يزعم النصيرية أن علياً رضي الله عنه إمامٌ في الظاهر وإلهٌ في الباطن لم يلد ولم يولد، ولم يمت ولم يقتل، ولا يأكل ولا يشرب.

وبحسب اعتقادهم أن الله تجلى في علي فقد اتخذ علي محمداً وبالغوا في كفرهم فقالوا: إن علياً خلق محمداً، ومحمد خلق سلمان الفارسي، وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم:

1. المقداد: رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق، والزلازل.
2. أبو الدر: (أبو ذر الغفاري) الموكل بدوران الكواكب، والنجوم.
3. عبد الله بن رواحة الأنصاري: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.
4. عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.
5. قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام

ويحتج النصيريون لهذه العقيدة بقولهم: إن الله معبود مقدس يحل في الأجسام متى يشاء، وله التصرف، وإليه ترجع الأمور.

وعليٌ رضي الله عنه حين زعموا أنه إمامٌ في الظاهر وإلهٌ في الباطن قسموا طبيعته إلى قسمين: الظاهر وهو القسم البشري منه قسم الناسوت الذي يأكل ويشرب ويلد ويولد ويتقرب إلى عباده ليعرفوه عن كثب.

وأما الباطن منه فهو قسم اللاهوت: الذي لا يأكل ولا يشرب.

ومن حماقتهم أنهم يستدلون على ألوهية علي بما حصل له من كرامات كقلع باب خيبر، وشجاعته الحربية، وزعموا أنه كان يكلم الجن، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أسند إليه قتال الكفار الظاهرين، وعلي أسند إليه قتال المنافقين، لأنه يعرف البواطن.

وقد اختلفوا في مكان حلوله بعد أن ترك ثوبه الآدمي أي صورته البشرية.

* فمنهم من يتجه إلى القمر في عبادته لاعتقاد أنه حل فيه، بل القمر نفسه هو علي، وهؤلاء يسمون الشمالية.

* ومنهم من يتجه إلى الشمس في عبادته لاعتقادهم أنه حل فيها، بل الشمس نفسها هي علي، وهؤلاء يسمون الكلازية.

ويؤكد صاحب الهفت الشريف (الكتاب المقدس عند النصيرية) أنه (ما من مؤمن يموت إلا وتحمل روحه إلى الإمام علي فينظر فيها، فإذا كان مؤمناً ممتحناً صافياً صعدت الملائكة بروحه إلى السماء فتغمسها في عين على باب الجنة اسمها عين الحياة).

وقد أضاف النصيرية إلى ألوهية علي وحلول الإله فيه أن الإله حل أيضاً في سائر الأئمة من بعد علي، فهذا صاحب الهفت الشريف يزعم أن الحسين هو الله رب العالمين، بل إنهم يعتقدون جازمين أن الأئمة أفضل من كل الأنبياء، لأن الأئمة بزعمهم يكلمون الله بدون واسطة والأنبياء بواسطة.

وقد ادعى رجلٌ منهم الألوهية في هذا القرن حين كانت فرنسا مستعمرة للشام وتخطط لإحياء الجهل وطمس الدين بأي وسيلة كانت؛ لتبقى أطول مدة تحكم فيها بلاد المسلمين فوقع اختيارهم على دمية نصيري من سوريا يسمى سلمان المرشد (خال الهالك حافظ الأسد) ، فأوصل نفسه إلى رتبة الألوهية– لأن الله تقمص به– وآمن به واتبعه كثير من النصيريين.

وقد مثل المهزلة تمثيلاً جيداً فكان كما يذكر في تاريخه يلبس ثياباً فيها أزرار كهربائية، ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار، فإذا أوصل التيار شعت الأنوار من الأزرار فيخر له أنصاره ساجدين حين يرون طلعته الشقية.

ومن الطريف أن المستشار الفرنسي الذي كان وراء هذه الألوهية المزيفة كان يسجد مع الساجدين ويخاطب سلمان المرشد بقوله: يا إلهي، وبعد أن ادعى الألوهية كان عليه أن يرسل الرسل، وهذا ما حصل بالفعل فقد اتخذ سلمان المرشد رسولاً اسمه سلمان الميده، وكان يشتغل جمَّالاً عند أحد المزارعين في حمص، في حين كان سلمان المرشد مدعي الألوهية راعي أبقار.

وحين رحل الفرنسيون عن سوريا تركوا له من أسلحتهم ما أغراه بالعصيان، فجردت الحكومة السورية آنذاك قوة بقيادة محمد علي عزمة فتكت ببعض أتباعه واعتقلته مع آخرين ثم أعدم شنقاً في دمشق عام 1946م.

وبعد هلاك هذا المتأله ألّه أتباعه ابنه مجيب الأكبر بن سلمان المرشد، وقد قتل هذا أيضاً، ولكن استمر أتباعه على تأليهه، ومن حماقاتهم وخبثهم على المسلمين أنهم يقولون عند ذبح أحدهم ذبيحته: باسم مجيب

الأكبر من يدي لرقبة أبي بكر وعمر، ومن هنا فإنه لا يجوز لأي مسلم إذا مر بديارهم أن يأكل من ذبائحهم.

وقد خرج الكثير من شباب النصيرية بسبب هذا الخلط والاضطراب الفكري إلى الإلحاد الماركسي مع تمسكهم بالانتماء الطائفي .

2- القول بالتناسخ .

هذه أهم قضية في عقائد النصيرية، ويعود سبب تعلقهم بالتناسخ إلى أنهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بالحساب ولا الجزاء في الآخرة.

والتناسخ حسب معتقد النصيرية في أربع صور حسب قرب الشخص أو بعده عن الإيمان وطاعة الأئمة أو عصيانهم، وهي كما يلي: نسخ، مسخ، فسخ، رسخ.

1. أما النسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر.
2. وأما المسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم حيوان.
3. وأما الفسخ: فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها.
4. وأما الرسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجر والنبات والجماد.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الروايات تذكر أن المسخ والفسخ والرسخ لا تصيب النصيري بل هي خاصة بمن عداهم من الناس، الذين يطلقون عليهم الكفرة والذين يمرون في تكرار مولدهم بألوان العقاب والجزاء في هذه الدنيا.

ومن أهم عقائدهم أيضاً: تقديس الخمر؛ حيث زعموا أن الله تعالى يتجلى فيها وأنها تسمى عبد النور تشريفاً لها، وجعلوا من أكبر الإجرام قلع شجرة العنب.

<u>تكتم النصيرية على عقائدهم</u>

يعد النصيريون ديانتهم ومذهبهم سراً من الأسرار العميقة التي لا يجوز إفشاؤها لسواهم، وقرروا أن الذي يفشي شيئاً منها يكون جزاؤه القتل في أسوأ صورةٍ له، لأنه أفشى سر العلي الأعلى، ومن أمثلة ذلك أن سليمان الأضني وهو من أبناء مشايخ النصيرية من ولاية أضنة تنصر بتأثير بعض المنصرين الأمريكان وجاء إلى اللاذقية، وكتب كتباً سماه (الباكورة السليمانية) وكشف فيها الكثير من أسرار العقيدة النصيرية، وطبع المنصرون الأمريكيون الكتاب في بيروت سنة 1863.

وبعد أن قام باللاذقية مدةً أخذ أقاربه يراسلونه ويحببون إليه العودة إليهم، مستعملين في ذلك كل وسائل التودد والمجاملة حتى آمن جانبهم وعاد إلى وطنه الأصلي، فكان جزاؤه أن أحرقوه حياً، ثم حاول النصيريون بكل جهد وعزم على احتواء الكتاب حتى اختفى تدريجياً، ولا توجد منه الآن نسخة واحدة

وقد كتب محمد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين خلاصة عن ما جاء في كتاب الباكورة السليمانية و هي:

-أن النصيرية علويون يعتقدون بألوهية الإمام علي، والشمالية منهم يقولون: إنه حالٌّ في القمر. والكلازية يذهبون إلى أنه حال في الشمس، ولهذا فهم يقدسون الشمس والقمر وسائر النجوم.

-ويعتقدون بتناسخ الأرواح، فالأرواح الصالحة عندهم تحل في النجوم، ولهذا يسمون علياً أمير النحل أي أمير النجوم، والأرواح الشريرة تحل في أجسام الحيوانات التي هي في نظرهم نجسة كالخنازير والقرود وبنات آوى.

-أن كلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي: ع.م.س، أي علي، محمد، سلمان.

-أن للنصيرية كتاباً مقدساً يعتمدونه ويرجعون إليه وهو غير القرآن، ولا يحتل القرآن عندهم إلا مكاناً ثانوياً.

- العقائد النصيرية غير متجانسة وثنية قديمة وإسلامية متطرفة.

عبادات النصيرية

النصيريين يصلون في خمس أوقات، إلا أنها تختلف في الأداء وفي عدد الركعات عن بقية المذاهب الإسلامية، وصلاتهم لا سجود فيها، وفيها بعض الركوع أحياناً.

ولا يصلون الجمعة ولا يعترفون بها كفرض، ولا يتطهرون قبل أداء صلواتهم، ولا يصلون في المساجد، بل يحاربون بناء المساجد ولا يرضون بإقامتها، بل يجتمعون في بيوت معلومة وأوقات معينة، ويسمون هذا الاجتماع عيداً يقوم الشيوخ بتلاوة بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأئمتهم، ويختلط الحابل بالنابل في هذه الاجتماعات رجالاً ونساءً.

ثم يقومون بأداء بعض الطقوس والصلوات المشابهة لقداسات وطقوس المسيحيين، ومن قداساتهم الكثيرة قداس الطيب لكل أخ وحبيب، وقداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور، وقداس الأذان وبالله المستعان، وكل قداس له ذكر خاص به وأدعية يتوسلون فيها بالإله علي والخمسة الأيتام وكبار مشائخهم – الذين جعلوهم أرباباً من دون الله؛ كالخصيبي وغيره– أن تحل في ديارهم البركة وأن ينصروا على أعدائهم.

والصيام عند النصيرية ليس هو عن الأكل والشرب وجميع المفطرات في نهار رمضان؛ بل هو الامتناع عن معاشرة النساء طوال شهر رمضان.

والحج إلى بيت الله الحرام يعتبرونه كفراً وعبادة للأصنام.

أعياد النصيرية

للنصيرية أعيادٌ كثيرةٌ في أوقاتٍ كثيرةٍ مثل عيد الغدير، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد عاشوراء، وعيد الغدير الثاني يوم المباهلة، وعيد النوروز، وعيد المهرجان، وعيد الصليب، وعيد الغطاس، وعيد السعف،

وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد إلى آخر أعيادهم الكثيرة التي وافقوا فيها المسلمين والنصارى والوثنيين .

موقف النصيرية من الصحابة

يكره النصيريون الصحابة رضوان الله عليهم كرهاً شديداً يخصون بالكره الشديد أبا بكرٍ وعمر وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم ، فلا يجيزون التسمية بأبي بكر وعمر، وبلغ بهم السفه والحقد عليهما أن عمدوا إلى الحيوانات البريئة وتفننوا في تعذيبها؛ لأن روح أبا بكر وعمر و عائشة رضي الله عنهم حلت فيهم عن طريق التناسخ.

ومن هنا فهم يأخذون بغلاً أو حماراً ليذيقوه سوء العذاب، لأنه تقمص روح أبي بكر أو عمر، كما أنهم يأخذون غنمة ويعذبونها كذلك تنكيلاً بأم المؤمنين عائشة وتنفيساً عن أحقادهم المجوسية، إلا أن المشكل هو كيف يقع اختيارهم على إحدى هذه البهائم بعينها للتنكيل بها.

ولهم عليهم غضب الله أفعال وأقوال في ذم الصحابة وخصوصاً ما قالوه عن عمر رضي الله عنه الذي يرمزون إلى اسمه بـ (أدلم) يتنزه من له أدنى مسكة من عقل أو حياء من ذكرها.

والسبب في بغضهم هؤلاء الأخيار من الصحابة واضح، وهو أن هؤلاء هم الذين أطفئوا نار المجوسية ونشروا راية الإسلام خفاقة بين جحافل المجوسية والوثنية.

أماكن النصيرية

أكثر أماكن وجود النصيرية جبال النصيرية قرب الساحل السوري ، وفي محافظة طرطوس السورية ، وفي بعض قرى قضاء عكار شمال لبنان، وفي جبل محسن في طرابلس الشام ، وفي الاسكندرون وبعض مناطق جنوب تركيا ، وبعض قرى كردستان ، وبعض مناطق إيران.

محاولات لم تثمر

حاول كثير من الزعماء المسلمين إرجاع النصيرية إلى الإسلام، وقاموا بمجهودات كثيرة بالترهيب تارة وبالترغيب تارة ، وكما هو شأن هذه الطائفة إذا أحسوا بقوة تضغط عليهم وخافوا سطوتها أظهروا الموافقة والتمسك بشرائع الإسلام الظاهرة.

فإذا ضعفت هذه القوة ظهر النصيريون على حقيقتهم وأعلنوا الحرب على تلك الشعائر الإسلامية التي ألزموا بها كبناء المساجد والصلاة جماعة فيها والتمسك بصوم شهر رمضان، وغير ذلك من الإصلاحات والتي كان ينجح فيها النصيريون في خداع الناس بأنهم متمسكون بسائر شعائر الإسلام، وأنه لا فرق بينهم وبين بقية المسلمين، ومن هؤلاء الزعماء الذين حاولوا إصلاح النصيرية:

1. صلاح الدين الأيوبي فبعد دحره للصليبيين بنى المساجد، وأمر جميع النصيريين بالصلاة فيها وبالصوم، وغيرهما من بقية شعائر الإسلام، فأطاعوه إلى أن توفي فتركوا ذلك، وجعلوا المساجد زرائب للحيوانات.
2. الظاهر بيبرس: بعد أن دحر التتار ألزمهم ببناء المساجد بقراهم وإقامة الصلاة فيها فبنوها بعيدة عن القرى وهجروها، وربما كان يمر الغريب في المسجد فيؤذن فيه فيقولون له: لا تنهق يأتيك علفك بعد قليل، كما حكى ذلك الرحالة ابن بطوطة.
3. السلطان العثماني ((سليم)): بنى المساجد وقام بكثير من الإصلاحات، ولكنهم رجعوا بعده إلى ما كانوا عليه.
4. إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر: كذلك قام بإصلاحات كثيرة من أجل تركهم عقائدهم الفاسدة إلا أنهم حينما أنسوا من أنفسهم قوة رجعوا عن ذلك كله.
5. السلطان العثماني عبد الحميد: كرر المحاولات بإرساله رجلاً من خاصته اسمه ضياء باشا، وجعله متصرفاً على لواء اللاذقية، فأنشأ لهم المساجد والمدارس، فأخذوا يتعلمون ويصلون ويصومون، وأقنع الدولة بأنهم مسلمون إذ لم يعصوا له أمراً، ولكنه بعد أن ترك هذا المتصرف منصبه خربت المدارس وحرقت الجوامع ودنست.

ولقد كان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله صولات وجولات مع هؤلاء فقد غزا رحمه الله النصيرية في جبل كسروان بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم، وكاتب السلطان فيهم بحسم مادة شيوخهم الذين يضلونهم، والأمر بإقامة شعائر الإسلام ونشر السنة ببلادهم .

وهكذا انتهت تلك المحاولات بلا جدوى، وربما يعود السر في محاربتهم لبناء المساجد إلى عقيدة عندهم؛ إذ يزعمون أن من عرف ربه وعرف معنى التكاليف صار حراً غير مكلف، وبقاء المساجد في نظرهم دليل على الجهل والتقصير وعدم معرفة الرب ومعرفة أوامره ظاهراً وباطناً.

ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أشد المحذرين من النصيرية لمعرفته الواسعة بهم يقول رحمه الله:

(هؤلاء القوم المسمَّونْ بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسلوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا بثواب ولا بعقاب ولا بجنة ولا بنار...).

إلى أن قال: (فإن كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في بئر زمزم...) إلى أن قال: ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار.

ومن أعظم أعيادهم إذا استولى –والعياذ بالله– النصارى على ثغور الإسلام.

ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعونتهم ومؤازرتهم، فإن منجم هولاكو الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي، كان وزيراً لهم بالموث، وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء) (مجموع الفتاوى : ج35، ص 149–152)

ولقد ظل هؤلاء على عداوتهم للمسلمين، وعمالتهم للعدو فقد تحالفوا مع الاستعمار الفرنسي ضد المسلمين ، وعندما قرر الفرنسيون الجلاء عن سوريا ، تقدم وفدٌ من كبار رجال الطائفة منهم سليمان الأسد والد المجرم حافظ الأسد إلى المندوب السامي الفرنسي وطلبوا منه بقاء القوات الفرنسية في سوريا أو فصل جبال العلويين وجعلها دولةً مستقلةً أو ضم العلويين إلى دولة لبنان التي اخترعتها فرنسا ، فطمأنتهم فرنسا وأوعزت لهم بالانضمام إلى الجيش الوطني الذي ستسلمه فرنسا زمام سوريا بعد الجلاء ، وقد تمكن النصيريون من الوصول إلى الحكم في سوريا على حين غفلة من المسلمين، وللنصيرية في الحروب التي جرت بين العرب واليهود في سنة 1967م تعاونُ ظاهرٌ وخفيُ، إذ مكنوا اليهود من احتلال أجزاء كبيرة من سوريا –هضبة الجولان والقنيطرة– ومن الأردن ومن لبنان لقاء اتفاقيات سرية ومصالح مشتركة.

والهم الأكبر لهؤلاء النصيرية هو القضاء على المسلمين أهل السنة في سوريا وفي غيرها، وأفعالهم اليوم تعيد إلى الأذهان فعل أسلافهم قديماً فقد صب النصيريون جام غضبهم على المسلمين عندما حاولوا التخلص من حكمهم ، فالمقبور حافظ الأسد دمر مدينة حماة وقتل فيها عشرات الآلاف لما ثارت في وجهه وكانت العصابات النصيرية التي دنست حماة تردد (هات سلاح وخذ سلاح دين محمد ولى وراح) .

وهذه جريدة الثورة أحفاد الوثنية النصيرية تكتب (الله والأنبياء والكتب المقدسة كلها محنطات ينبغي تحويلها إلى متاحف التاريخ) وذاك النشيد وهذا التصريح وقع حينما اقتحم اليهود الصهاينة المسجد الأقصى وهم يرددون ((محمد مات خلف بنات فليسقط الإسلام).

ومن جرائم النصيرية المجازر التي ارتكبوها ضد المسلمين في طرابلس الشام في الثمانينات والتي راح ضحيتها الآلاف.

ومن جرائمهم تحالفهم مع الرافضة والمارون والصهاينة ضد السنة والفلسطينيين في لبنان حيث قاموا بمجازر كثيرة في تل الزعتر وغيرها وذبحوا نساء المسلمين وأطفالهم .

وفي هذه الأيام تستميت الشيعة الخمينية الرافضية المجوسية في الدفاع عن النصيرية في سوريا بعد أن شارفت ثورة أهل السنة على إسقاط حكمهم لسوريا، فقد بادرت المرجعيات الشيعية العليا كالخامنئي والسيستاني لعنهما الله إلى إصدار الفتاوى للرافضة للجهاد في سوريا إلى جانب النظام النصيري المجرم ووعدوا من يقتل منهم بالجنة ، وجندوا لذلك ميليشياتٍ طائفيةٍ للدفاع عن النظام المجرم مثل حزب الله اللبناني(حزب اللات بالأصح) والحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس وعصائب أهل الحق ولواء أبي الفضل العباس وغيرها كثير ، وقد قدمت هذه العصابات من إيران والعراق ولبنان لتساند النصيرية في احتلالها لبلاد الشام ولتنشر القتل والمذابح بين أهل السنة في كل بقعةٍ حل فيها رجسهم.

وقد قتل في سوريا الحبيبة على يد قائد النصيرية بشار الأسد وعصابات الرافضة المجوس في هذه الأيام ما يقارب النصف مليون وشرد قرابة 13مليون من بيوتهم ، ودمر ما يزيد عن أربعة ملايين منزل، تحت غطاء دولي ، وما يزال المجرمون النصيريون وإخوانهم الرافضة المجوس بتأييد روسي وأمريكي وصهيوني وصمت عربي وإسلامي يعيثون في الشام الفساد وينشرون القتل والتدمير في كل مكان .

نسأل الله أن ينصر المجاهدين في الشام عليهم ويمدهم بمدده و يرفع الضائقة عن بلادنا ، ويعيد المشردين إلى بلادهم ويعمر الشام ويرفع فيها راية الإسلام إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المذهب الخارجي

مقدمة.

يأتي هذا المذهب على الجهة المقابلة للشيعة ، فالشيعة منهم من أله علياً ومنهم من جعله رسولاً ومنهم من رفعه فوق الأنبياء والمرسلين حاشا النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي مقابلهم يأتي الخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه وأباحوا دمه ثم قتلوه .

هذه الفرقة خرجت من جيش علي رضي الله عنه عندما رضي بالتحكيم وكفروه ، وقالوا : إن كان أميراً للمؤمنين فكيف يرضى بالتحكيم ؟ كيف يحكم الناس في الدماء ولا حكم إلا لله ؟ وجعلوا شعارهم (لا حكم إلا لله) لذلك يسمون **بالمحكمة** .

وكان عددهم اثني عشر ألف خارجي ، أرسل إليهم عليٌ رضي الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنه فحاورهم ورجع بأربعة آلاف منهم .

معظم هذه الفرقة من أجلاف الأعراب ومن أشد الفرق دفاعاً عن مذهبها ، تتمسك هذه الفرقة بظواهر النصوص وتتميز بالشجاعة والفداء .

وصفاتها متناقضة :

تجدهم أتقياء مخلصين وفي نفس الوقت متشددين وجلفين في التعامل مع الآخر وعندهم أحكام مسبقة في حق غيرهم .

ينتمي الخوارج إلى القبائل الربعية وهم على خصام مع القبائل المضرية ، وكانوا يحسدون قريشاً لاستيلائهم على الخلافة .

كفر هؤلاء علياً ومعاوية وعمرو بن العاص وأرسلوا من يقتل علياً و معاوية وعمراً بن العاص ، فنجح أولهم بقتل علي وهو عبد الرحمن بن ملجم و فشل الآخران .

يرى هؤلاء استباحة دماء المسلمين الذين ليسوا على مذهبهم ، وقد قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت ، فقد مر بهم ومعه زوجته الحامل فأمسكوه وسألوه عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما ، فسألوه عن علي بن أبي طالب فترضى عنه ، فهددوه بالقتل حتى يتراجع عن قوله ، فناقشهم وجادلهم ، فرفضوا الحوار وقطعوا رأسه ، ثم قتلوا زوجته وبقروا بطنها وقتلوا جنينها .

جاءهم مسلمٌ آخر فسألوه عن رأيه في علي فعلم أنهم خوارج فزعم أنه نصراني وصلب لهم ، وذكر لهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالذميين خيراً فأطلقوا سراحه .

لا يؤمن هؤلاء بغير جماعتهم وكل من خالفهم كافرٌ ، ومع ذلك كانوا كثيروا العبادة والتهجد وقيام الليل حتى أن الإنسان يحقر صلاته إلى صلاتهم ، ولكنهم كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

أي يدخلون في الدين ويخرجون منه دون أن يتأثروا بتعاليم الدين ، أو أن تهذب تعاليمه طباعهم .

من مبادئهم :

1-الخليفة لا يشترط فيه القرشية بل يكون بانتخاب حر صريح يقوم به عامة المسلمين ولو كان عبداً حبشياً رأسه زبيبة ، وهم يخالفون أهل السنة القدماء الذين يقولون بأن الخلافة في قريش ، ويخالفون الشيعة الذين يفضلون آل البيت على غيرهم .

والخوارج يفضلون غير العرب على العرب ، وغير القرشي على القرشي .

ويستمر الإمام عندهم في حكمه مادام قائماً بالعدل فإذا خرج من العدل إلى الجور وجب عزله .

2-مرتكب الكبيرة كافرٌ مخلدٌ في نار جهنم ، ثم بالغوا فجعلوا الذنوب كلها كبائر وكلها مخلدةٌ لأصحابها في النار .

3-من فرقهم النجدات يقولون لا حاجة للإمام إذا استطاع الناس أن يتناصفوا فيما بينهم ، والإمام تقتضيه المصلحة ، فإن دعت المصلحة إلى اختيار إمام فبها وإلا فلا حاجة له .

أهم صفاتهم :

الفصاحة وطلاقة اللسان ، فمنهم قطري بن الفجاءة الشاعر الفحل ، وكانوا يحفظون القرآن والحديث وأشعار العرب ويحبون الجدل والمناقشة ويكثرون من مذاكرة الشعر ويتبارون به .

ويكثرون من مجادلة خصومهم ويتبارون معهم ، ويتمسكون بظواهر القرآن ولا يسلمون للخصم إذا أقام عليهم الحجة .

يرون وجوب الخروج على السلطان الجائر ولو لم تكن لديهم استطاعة ، لذلك خرجوا على معاوية فقمعهم وسلط عليهم زياد بن أبيه .، وخرجوا على علي قبله فحاربهم وهزمهم في النهروان .

وخرجوا في زمن يزيد فسلط عليهم عبيد الله بن زياد ، وفي زمن عبد الله بن الزبير انخرطوا في صفوفه باعتباره إمامٌ حقٌ ، ثم تفردوا عنه وانشقوا عنه فحاربهم مصعب بن الزبير وقتل فريقاً منهم .

وفي زمن عبد الملك بن مروان سلط عليهم الحجاج فقتلهم وشرد بهم .

وفي زمن هشام بن عبد الملك خرجوا فقتل عدداً كبيراً منهم .

فكانوا كلما اجتمع لهم عددٌ من الأتباع أعلنوا الخروج على الخليفة فيسلط عليهم ولاته فيقتلوهم ويشردوهم ، وقد امتازوا بشجاعةٍ فائقةٍ عديمة النظير .

وفي زمن عمر بن عبد العزيز استقدمهم وحاورهم وعفا عنهم .

من فرق الخوارج .

1-الأزارقة .

يتبعون نافع بن الأزرق الخارجي ، من مبادئهم :

1-مخالفوهم مشركون يحل قتالهم وقتلهم .

2-أباحوا قتل النساء والأطفال في الحرب وقتل كل من لا يخرج معهم في الحرب ، وقد جعلوا كل جهادهم في قتال المسلمين ، ولم يستغلوا هذه القدرات في قتال العدو الخارجي .

3-أطفال المخالفين مخلدون في نار جهنم .

4-ينكرون حد الرجم للزاني المحصن لعدم وروده في القرآن الكريم ، فالوارد هو الجلد دون الرجم .

5-يجوزون على الأنبياء ارتكاب الكبائر والصغائر .

2-النجدات .

وهم أتباع نجدة بن عويمر ، لم يكفر هؤلاء أطفال المخالفين ، وأباحوا دماء أهل الذمة ، وقالوا أن وجود إمام واجب مصلحياً لا شرعياً .

وأخذوا من الشيعة مبدأ التقية .

وقالوا بأن مرتكب الكبيرة من الخوارج يعفو الله عنه ولا يخلد في النار ، أما من غير الخوارج فيخلد في نار جهنم .

3-الصفرية .

وهم أتباع زياد بن الأصفر ، وهم معتدلون في الدماء ، فلا يكفرون أصحاب الكبائر ولا يبيحون دماء المسلمين .

و هذه الفرق على العموم يؤمنون باعتزال المخالف والهجرة من أرضه ، ويكفرون المجتمع ويجدون الإقامة بين ظهراني المجتمع كبيرة ومعصية ، لذلك كانوا يخرجون من المجتمع ويجعلون لأنفسهم معسكرات ويعينون عليهم اميراً ويؤدون في هذه المعسكرات العبادات ويجتهدون فيها ، ويكفرون جميع من حولهم .

4-العجاردة .

أتباع عبد الكريم بن عجرد ، لا يبيحون دماء وأموال مخالفيهم ، ولا يجدون الهجرة من أرض مخالفيهم واجبة بل فضيلة .

5-الميمونية

نسبة لميمود العجردي وهذه فرقة ضالة أباحت نكاح بنات الأولاد ، وبنات البنات وبنات أولاد الإخوة والأخوات ، وهذه الفرقة كافرة .

6-اليزيدية .

وهي غير الفرقة اليزيدية الشيطانية ، وهم أتباع يزيد بن أنيسة الخارجي ، يزعمون أن الله سيبعث نبياً من العجم ينسخ شريعة محمد وهم كفار .

كل الفرق السابقة لم يعد لها وجود الآن إلا في بطون كتب التاريخ والفرق .

7-الإباضية (الأباضية).

وهي فرقة قديمة معاصرة ، وهم أتباع عبد الله بن أباض وهم فرقة معتدلة ، ولها تراث فقهي جيد ، ولها كتب كثيرة في التفسير .

يقيمون في الصحراء الغربية وفي زنجبار وفي سلطنة عمان وفي غربي ليبيا في جبل نفوسة .

من أفكارهم التي ذكرها كتاب الفرق ما يلي :

1-مخالفيهم من المسلمين كفارٌ نعمةً لا عقيدةً (فاسقين لا كفار)

2-دماء المخالفين حرامٌ ، والمخالفون مسلمون ودارهم دار إسلام إلا معسكر السلطان (يعني الحاكم المخالف وعسكره وحاشيته) .

3-لا يحل من غنائم المخالفين إلا الخيل والسلاح ويردون لهم الذهب والفضة والأموال .

4-يجوزون شهادة المخالفين .

5-لا يستبيحون أعراض المخالفين من المسلمين .

6-يجيزون التناكح والتوارث بينهم وبين المخالفين .

وهذه الفرقة ظلت حتى الآن لاعتدالها بينما زالت بقية الفرق الخارجية الأخرى .

الأباضية كما يقدمون أنفسهم اليوم .

قدر الله أن أتعرف على الإباضية عن قربٍ عندما عشت فترةً في سلطنة عمان ، وأصبح لي العديد من الأصدقاء من علماء الأباضية وأطلعوني على الكثير من كتبهم ومكتباتهم فوجدتهم قريبون من أهل السنة ، وهم حريصون على التقارب مع أهل السنة والجماعة ، ويحبذون أن نعدهم كمذهبٍ من المذاهب السنية الأربعة .

وبإطلاعي على كتبهم الفقهية وجدتهافي معظمها تدور في فلك كتب السنة الفقهية باستثناء بعض المسائل .

أما في العقيدة فهم يتفقون عموماً مع الأشاعرة و ينفردون بمسائل أخذوها من المعتزلة وأخرى أخذوها من الخوارج القدماء.

أما موقفهم من الصحابة فهو موقف الخوارج القدماء على العموم .

وأنا ألخص مذهبهم كما يعرضوه في كتبهم في السطور التالية:

يرفض الأباضية المعاصرون نسبتهم إلى الخوارج وذلك لما لحق تاريخ الخوارج من جرائم ارتكبوها بحق الأبرياء ، وللأحاديث الكثيرة التي رواها أهل السنة عن الخوارج وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

ويسمي الأباضية أنفسهم أهل الدعوة وأهل الحق وأهل الاستقامة ، وينسبون أنفسهم إلى جابر بن زيد أبي الشعثاء المتوفى سنة 96هـ تلميذ ابن عباس رضي الله عنه ، ويقولون : بأن تسميتهم بالأباضية كانت نتيجة المراسلات التي كانت بين أحد أتباع المذهب وهو **عبدالله بن إباض التميمي** الذي كان بينه وبين عبد الملك بن مروان مراسلات و مناقشات طويلة و كانت له حركة نشطة في نقد سلوك الحكم الأموي لابتعاده عن منهج الخلفاء الراشدين السابقين، ودعوته الصريحة لحكام الدولة إلى الاعتدال أو اعتزال أمور المسلمين، ثم لمواقفه الجدلية المتصلبة ضد الخوارج ، ولم يُعرف الإباضية بهذا الاسم إلا بعد موت جابر بزمان، ولم يعترفوا بهذه التسمية إلا بعد ذلك عندما انتشرت على ألسنةِ الجميع، فتقبلوها تسليما بالأمر الواقع و**الإمام الثاني للإباضية هو أبو عبيده مسلم بن أبي كريمة**، أخذ العلم عن جابر وغيره، وعن طلابهما انتشر المذهب الإباضي .

ومن أئمتهم الرَّبيع بن حبيب صاحب كتاب (الجامع الصحيح مسند الربيع) وهو معتمد الإباضية في السنة ، ويدعي الإباضية أن كتابهم هذا أعلى من البخاري ومسلم لأنه ثلاثي الأسانيد .

<u>تصحيح لبعض القضايا التي ألصقت بالإباضية .</u>

والإباضية لا ينكرون الإجماع بل يرونه الأصل الثالث من أصول التشريع ولا ينكرون الرجم كما ينسب إليهم ، وإنما يقولون أنه ثبت بالسنة القولية والعملية، وليس بقرآنٍ منسوخٍ.

ويثبتون عذاب القبر وسؤال الملكين استناداً إلى أحاديث كثيرة ثبتت في الموضوع.

و الإباضية لا يستحلون غنيمة أي شيء من أموال المسلمين لا سلاحاً ولا غيره، لا في حرب ولا في سلام، وهم يستتيبون من يرونه يرتكب بدعاً من الدين أو يقدم على كبائر من المعاصي فإن تاب كان واحداً منهم وإن أصر على موقفه أعطوه حقوق المسلم العامة ولا يجوز عندهم قتله أبداً، إلا إذا تجاوز البدعة إلى الردة فحينئذ تنطبق عليه أحكام المرتد.

وهم لا يستحلون دماء مخالفيهم لا في السر ولا في العلانية لأن جميع المسلمين قد حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم وصانوا نساءهم وأطفالهم بكلمة التوحيد ولا يحل شيء منها إلا بالخروج من التوحيد.

والإباضية يقولون أن من سرق أقيم عليه حد السرقة، وهو القطع ثم أخلى سبيله فليس لهم عليه شيء بعد ذلك.

ومن زنى فإن كان محصناً رجم وإن كان غير محصن جلد ثم ترك سبيله وليس لهم عليه غير ذلك، اللهم إلا مسألة قبول الشهادة.

من أصولهم في السياسة

الإباضية يعتمدون على الدعوة والإقناع، ولا يلجأون إلى استعمال العنف إلا في حالات الدفاع.

ولذلك لم يشتركوا في أي عمل من أعمال العنف التي قام بها الخوارج والشيعة والتوابون وابن الزبير وابن الأشعث وغيرهم ضد الدولة الأموية، رغم إنكارهم الشديد على حكام الدولة الأموية ونقدهم العنيف لسلوكهم المنحرف عن الكتاب والسنة.

ومن أهم أصولهم في السياسة في النقاط التالية:

1. عقد الإمامة فريضة بفرض الله الأمر والنهي–والقيام بالعدل وأخذ الحقوق من مواضعها، ووضعها في مواضعها، ومجاهدة العدو والدليل عليها من الكتاب والسنة والإجماع.
2. رئاسة الدولة الإسلامية (الخلافة) ليست مقصورة على قريش أو العرب وإنما يراعى فيها الكفاءة المطلقة فإن تساوت الكفاءات كانت القرشية أو العروبة مرجحا.
3. لا يحل الخروج على الإمام العادل.
4. الخروج على الإمام الجائر ليس واجباً كما تقول الخوارج، وليس ممنوعاً كما تقول الأشاعرة ومن معها، وإنما هو جائزٌ بترجح استحسان الخروج إذا غلب على الظن نجاحه، ويستحسن البقاء تحت الحكم الظالم إذا غلب على الظن عدم نجاح الخروج أو خيف أن يؤدي إلى مضرة تلحق المسلمين أو تضعف قوتهم على الأعداء في أي مكان من بلاد الإسلام.

والإباضية عندما يتكلمون على الأئمة الجَوَرَة لا يقصدون مخالفيهم فقط، كما توحي به عبارات المؤرخين وكُتَّاب المقالات؛وإنما يقصدون أئمة الجور الذين انحرفوا عن حكم الله سواء كانوا من أتباع المذهب الإباضي أو من أتباع غيره. فالجور ليس له مذهب .

5. الإمام يُختار عن طريق الشورى وباتفاق أغلبية أهل الحل والعقد.
6. الإمام هو المسؤول عن تصرفات ولاته، ويستحسن له أن يستشير أهل الحل والعقد من أهل كل منطقة في تولية العمال عليه وعزلهم عنهم.

7. لا يجوز أن تبقى الأمة الإسلامية دون إمام أو سلطان.

8. الحاكم الجائر يُطالب أولا بالعدل فإن لم يستجب طولب باعتزال أمور المسلمين فإن لم يستجب جاز القيام عليه وعزله بالقوة ولو أدى ذلك إلى قتله إذا كان ذلك لا يؤدي إلى فتنة أكبر.

9. السلطان الجائر سواء كان من الإباضية أو من غيرهم هو وأعوانه في براءة المسلمين ومعسكره معسكر بغي.

10. بلد المخالفين لهم في المذهب بلد إسلام ولو كان سلطانهم جائراً.

11. لا يجوز الاعتداء على دولة مسلمة قائمة داخل حدودها إلا رداً لعدوان.

12. يجوز أن تتعدد الإمامات في الأمة المسلمة إذا اتسعت رقعتها وبعدت أطراف البلاد منها أو قطع بين أجزاءها عدو بحيث يعسر حكمها بنظام واحد، أو يكون ذلك سببا لا انهيارها وتشتت قواها وتعطل مصالح الناس فيها.

13. لحكم الدار في نظر الإباضية أربع صور هي كما يلي:

- الدار دار إسلام، ومعسكر السلطان معسكر إسلام وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والأمة مسلمة والدولة مسلمة تعمل بكتاب الله.
- الدار دار إسلام، ومعسكر السلطان معسكر إسلام إلا أنه معسكر بغي وظلم وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والأمة مسلمة والدولة مسلمة لكنها لا تلتزم المنهج الإسلامي في الحكم سواء كانت من الإباضية أو من مخالفيهم.
- الدار دار إسلام، ومعسكر السلطان معسكر كفر وشرك وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والأمة مسلمة والحاكم دولة مستعمرة مشركة كتابية أو غير كتابية.
- الدار دار كفر، ومعسكر السلطان معسكر كفر وذلك عندما يكون الوطن للمشركين تسكنه أمة مشركة وتتولى الحكم فيه دولة مشركة.

<u>من أصولهم في العقيدة</u>

الأصل العام في عقيدة الإباضية هو التنزيه المطلق للبارئ جل وعلا، وكل ما أوهم التشبيه من الآيات القرآنية الكريمة أو الأحاديث النبوية الثابتة يجب تأويله بما يناسب المقام ولا يؤدي إلى التشبيه .

ومن مسائل العقيدة عند الإباضية :

1- القول بخلق القرآن : وهم بذلك يؤيدون رأي المعتزلة ومن يقرأ أدلتهم في ذلك يجدها مزيج من أدلة المعتزلة ، وأدلة الأشاعرة القائلين بخلق النظم العربي.

2- ينفون رؤية الله تعالى في الآخرة ويستدلون على ذلك بنفس أدلة المعتزلة.

3- ينفون شفاعة النبي لأهل الكبائر الذين لم يتوبوا ، وكذلك غفران الله للذنوب من غير توبة .

4- يقولون بخلود أصحاب الكبائر في النار إن ماتوا مصرين عليها ولم يتوبوا منها ، ويستدلون بالكثير من الآيات منها قول الله تعالى : " إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون).

5- يؤول الإباضية الاستواء والنزول والمجيء والعين واليد والقدم المنسوبة إلى الله بتأويلات كثيرة قريبةٍ من تأويلات المعتزلة والأشعرية.

6-الميزان ليس حسياً وإنما هو الفصل الحق بين أعمال الخلق.

7- الصراط ليس طريقاً حسياً فوق جهنم وإنما هو طريق الإسلام ودين الله الذي ارتضاه لعباده. ووصفه بأنه أحدّ من السيف وأدق من الشعرة-إن صح-يقصد به صعوبة الاستمساك بالإسلام والسير في نهجه القويم وسط أمواج الرغبات الجامحة، والشهوات الطامحة والفتن المتلاطمة في خضم الحياة.

8- ولاية المطيع والبراءة من المعاصي واجبتان.

9- إذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد فالمقصود بها كفر النعمة لا كفر الشرك من باب(فسباب المسلم فسوق وقتاله كفر)و (لا ترجعوا كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)و (الرشوة في الحكم كفر).

10- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

11- شفاعة الرسول **صلى الله عليه وسلم** ثابتة، وهي قسمان، الشفاعة الكبرى يوم القيامة لبدء الحساب ولدخول المؤمنين الجنة، وهي المقام المحمود الذي يختص به نبينا محمد **صلى الله عليه وسلم** والشفاعة الصغرى ولا تكون إلا للمؤمنين الموفين بزيادة الدرجات.

12- الحديث الآحادي يفيد العمل ولا يفيد العلم فلا يحتج به في العقائد.

13- مرتكب الكبيرة لا يحكمون عليه بالشرك كما يقال عن الخوارج ، وإنما يقولون: هو منافق ولا يمكن لمرتكب الكبيرة في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب .

موقف الأباضية من الصحابة.

يؤيد الأباضية الخروج على عثمان رضي الله عنه ويزعمون أن أهل المدينة لما ضاقوا ذرعاً بسياسات عثمان دعوا الثوار من العراق ومصر للانضمام إليهم لإرغام عثمان على التنازل عن الحكم بعد أن انحرف _كما يزعمون _عن منهج الشيخين أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما بعد أن سار على نهجهما لمدة ستة سنوات ثم انحرف عن النهج _كما زعموا_ ، فتداعى الصحابة _كما زعموا_ إلى خلعه ، و الحق أن الناظر في الروايات الصحيحة للتاريخ الإسلامي يجد أن الصحابة جميعاً كانوا في صف عثمان أيام الفتنة والذين وقفوا في وجهه وقتلوه هم الغوغاء يقودهم قادة مفتونون لم يتشرفوا بالصحبة ولم يتزكوا تزكية الصحابة ، كما

أن أصابع ابن سبأ اليهودي واضحة في هذه الفتنة.

كما يدعي الأباضية أن علياً رضي الله عنه كان خليفة شرعي إلى ما قبل التحكيم ، وبعد التحكيم خرج عن كونه خليفة بل وكفر كفر نعمةٍ فخرج عليه أهل الحق بقيادة الخليفة الشرعي الجديد المزعوم عبد الله بن وهب الراسبي ، وقاتلوه في النهروان وقتل منهم العدد الكبير .

وللأباضية في عدالة الصحابة ثلاثة أقوال:

القول الأول: الصحابة كلهم عدول إلا من فسقه القرآن كالوليد بن عقبة وثعلبة بن حاطب.

القول الثاني: الصحابة كلهم عدول وروايتهم كلهم مقبولة إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض في الفتن.

القول الثالث: الصحابة كغيرهم من الناس من أشتهر بالعدالة فكذلك ومن لم يعرف حاله بحث عنه. قال السالمي في طلعة الشمس:

أما الصحابي فقيل عدلُ ××× وقيل مثل غيره والفصل
بأنه عدلٌ إلى حين الفتن ××× وبعدها كغيره فليُمتحن

الفقه الأباضي.

مكان الإباضية في هذا الباب ربما كان في الشريحة التي تقع بين أهل الظاهر والحنابلة من جهة والحنفية من جهة أخرى ، ورغم أن المذهب الإباضي نشأ في العراق إلا أنه لم يذهب مع الرأي إلى المذهب الذي بلغه الحنفية والمعتزلة ، و الفقه الإباضي يعتمد من حيث الأدلة بعد القرآن الكريم في مجال السنة على المتواتر والمشهور أو المستفيض وعلى الآحادي وعلى مرسل الصحابة والتابعين ، وإذا تعارض الحديث والقياس رجح جانب الحديث ولو كان أحاديا أو مرسلا للطبقة السابقة، ولا يرد الحديث الآحادي إذا صادمه دليل قطعي.

ويقولون بالقياس والاستصحاب والمصلحة المرسلة على التفاصيل والمناقشات الطويلة المعروفة في كتب أصول الفقه.

من المسائل التي يتميز بها الإباضية في الصلاة على سبيل المثال:

عدم التأمين في الصلاة –

إسبال اليدين في الصلاة.

تسليمة واحدة في آخر الصلاة.

وجوب القصر على المسافر ، ومدة القصر والجمع غير محددة فللإباضي أن يقصر مادام مسافراً مهما طال الزمن.

أماكن الأباضية .

- عُمَان: وعددٌ كبيرٌ من سكان عمان إلى الآن على المذهب الإباضي وقد تكونت لهم هناك دولةٌ مستقلةٌ عن دار الخلافة منذ العهد الأموي حتى الآن، تسير أحياناً على منهج الإمامة، وأحياناً على منهج الملكية ، وأحياناً تنقسم إلى دولتين:إمامية، وملكية.

زنجبار:كان أغلب سكان زنجبار من الإباضية، وكانت لهم هناك دولة ملكية، كان لها نشاط جيد في نشر الثقافة الإسلامية.

- ليبيا: في جبل نفوسة وزواره.

تونس: في جزيرة جربة.

المبحث الثاني

المذاهب الإسلامية الفكرية والعقائدية

مقدمة في أسباب اختلاف الفرق العقائدية.

وهذه الفرق لم تتبن منهجاً سياسياً ، كالشيعة والخوارج الذين لهم نظرية متكاملة عن الإمام والدولة .
كما أن خلاف هذه الفرق مع غيرها خلافٌ فكريٌ عقائديٌ ، ولم يكن لهم أميرٌ له بيعةٌ كما في الفرق السابقة ، ومن أشهر هذه الفرق : الفرقة الجبرية ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والأشاعرة والماتريدية ، وغيرها.
و ترجع أسباب اختلاف هذه الفرق العقائدية إلى ثلاث مسائل رئيسية :
المسألة الأولى: مسألة القضاء والقدر
المسألة الثانية : مرتكب الكبيرة وحكمه
المسألة الثالثة : الموقف من الفلسفة أو العلاقة بين الفلسفة والاسلام
ففي مسألة القدر والخلاف حول القدر نشأت عدة فرق :
فرقةٌ تنكر القدر وتقول أن الله عز وجل لا يعلم ما سيكون في المستقبل إلا بعد حدوثه وهذه الفرقة تسمى فرقة القدرية .
و فرقةٌ أخرى تقول بأن الله عز وجل يعلم ما سيكون من الإنسان ، والإنسان مجبرٌ على أفعاله فهو كريشةٍ في مهب الريح وهي فرقة الجبرية .
فهناك من غالى وهناك من اعتدل ، وسنتعرض بتفصيلات الغلو والاعتدال في هذه المسألة من خلال عرضنا للفرق الاسلامية .
أما في مسألة مرتكب الكبيرة فهناك عدة مذاهب :
فهناك من يقول بأن مرتكب الكبيرة كافرٌ وهي فرقة الخوارج.
وهناك من يقول لا يضر مع الإيمان معصية وهي فرقة المرجئة .
وهناك من يقول مرتكب الكبيرة ليس بكافر وليس مؤمناً وإنما هو في منزلةٍ بين المنزلتين وهي فرقة المعتزلة .
وهناك من يقول أن مرتكب الكبيرة عاصي يستحق العقوبة ، ولكن قد يعفو الله عنه فالأمر يرجع إلى مشيئة الله وهم أهل السنة والجماعة .
أما بالنسبة للتفكير الفلسفي فهل ترفض الفلسفة كلياً ولا نرضى بفكرٍ دخيلٍ على الإسلام كما قال المحدثون وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والشافعي والأئمة الأوائل ، وتبنى هذا التوجه فيما بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته ، واستمر هذا الخط حتى الآن تتبناه الجماعات السلفية باختلاف توجهاتها في العالم الإسلامي، وهذا التوجه يرفض الفلسفة ويقول نكتفي بدلالات الكتاب والسنة وفي تفصيل لهذا الكلام ولكن نتكلم بعموميات .
وهناك موقفٌ آخر يقبل الفلسفة بإيجابياتها وسلبياتها فإذا تعارضت مع دلائل الكتاب والسنة تغلب الفلسفة

وهو مذهب الفلاسفة الإسلاميين ابن سينا والفارابي والكندي.

وهناك من يقول بتأويل نصوص الكتاب بما يوافق الفلسفة ، أما نصوص السنة فالصحيح منها يؤول لصالح الفلسفة ، أما الأقل صحةً يرفض لمعارضته العقل أو الفلسفة ويرأس هذا التوجه المعتزلة وهذا المذهب لها امتدادات إلى هذا العصر، فمدرسة محمد عبده تتبنى هذا التوجه من حيث أن النصوص القرآنية إذا عارضت العلم تؤول بما يوافق العلم ، وبعض رواد هذه المدرسة أول نصوص الكتاب والسنة بما يوافق نظرية داروين ، وقال بأنه لا مانع أن يكون أصل الإنسان قرداً وهذا لا يتعارض مع دلالات الكتاب والسنة .

وسبب ذلك كله الانبهار بكل ما يأتي من الغرب ، ونفس المدرسة انتقدت نظرية داروين عندما ثبت بطلان نظرية داروين .

فالمعتزلة ومدرسة محمد عبده (مدرسة الاصلاح الديني) الدين لديهم مرن يستطيعون أن يطوعوه لصالح العلم والفلسفة.

وهنالك مدرسةٌ أخرى وفقت بين النصوص وبين الفلسفة والعلم وهي مدرسة الأشاعرة والماتريدية و نشأت رداً على المعتزلة وغلوهم في تقديم العقل والفلسفة والعلم على الكتاب والسنة ، وطرحت هذه المدرسة إمكانية التوفيق بين دلالات النصوص والفلسفة ، وعند التصادم العنيف بين النصوص والفلسفة ننظر ثلاثة أنظار :

النظر الأول: **إما** أن يكون النص الديني غير صحيح، كأن يكون حديث ضعيف فيرفض النص الديني **وإما** أن يكون التفسير الذي فسر به النص الديني غير صحيح ، فنقول الخطا في التفسير وليس في النص **وإما** أن تكون االفكرة الفلسفية أو النظرية العلمية خاطئة ، ومن مؤسسي هذه المدرسة أبو الحسن الأشعري والإمام الغزالي والإمام البيضاوي وغيرهم .

وهذه المدرسة مناهجها تدرس في معظم جامعات العالم الإسلامي...

أولاً : الفرقة الجبرية .

ظهرت هذه الفرقة في العهد الأموي ، وأول من دعا إليها رجلٌ يقال له : الجعد بن درهم ، أخذها عن يهودي ونشرها في البصرة ، ومن أهم تلامذته الجهم بن صفوان لذلك تسمى بالجهمية أيضاً .

مستندهم نصوص في الكتاب الكريم ظاهرها الجبر مثل قوله تعالى : {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً }الإنسان30

معناها من وجهة نظرهم : أن الانسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً وهو مجبورٌ على أفعاله.

وكذلك قوله تعالى : {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }القصص68 ، وهي أيضاً من الأدلة التي استدلوا بها على الجبر.

فهذه الفرقة جاءت بالنصوص التي تخدم فكرتها الجبر وجعلتها الأساس وأولت النصوص التي تدل على الاختيار كقوله تعالى: { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ }البقرة286 ، وقوله تعالى : {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ }البلد10.

أهم مبادؤها .

1-الإنسان لا يملك إرادةً في تصرفاته وإنما هو كريشةٍ في مهب الريح ، يتصرف به الله كيف يشاء ، وهو لا إرادة له وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وكل أعماله سواءً أكانت طاعاتٍ أو معاصي هي فعل الله أجراه على يديه .

2-كما يقولون بفناء الجنة والنار .

3-وهم أول من نادى بخلق القرآن .

4-كما نفوا عن الله صفات المعاني .

5-كما نفوا رؤية الله يوم القيامة .

ومن الجدير بالذكر أن الفكر الجبري تسرب إلى الكثير من الطرق الصوفية ، وهو منتشر في المجتمع عن جهل ، فعندما تسأل أحداً عن سبب تصرفه الخاطئ أجابك : إنها إرادة الله ، والله كتب علي ذلك ، فهو يرمي بتبعة أفعاله وأخطائه وفشله على القدر .

وواجب الدعاة إلى الله محاربة هذا الفكر الذي يعدم إرادة الإنسان ويرمي التبعة على الأقدار أو على الآخرين للتهرب من المسؤولية .

ثانياً : الفرقة القدرية .

نشأت هذه الفرقة كردة فعل على الجبرية ، فهذه الفرقة تجعل للإنسان إرادةً مطلقةً منعزلةً عن إرادة الله مؤسسها معبد الجهني وغيلان الدمشقي الذي قتله هشام بن عبد الملك.

أهم أفكارهم أن للإنسان إرادةً مستقلةً عن إرادة الله ، والله لا يعلم ما يدور في عقل الإنسان بل لا يعلم بالفعل إلا بعد وقوعه .

وبذلك نفوا القدر وهو علم الله الأزلي بما يفعله الإنسان في المستقبل .

وقالوا: إن الله لا يعلم بما يفعله العبد إلا بعد قيامه بالفعل .

ثالثاً : فرقة المرجئة .

تعتمد هذه الفرقة على الإرجاء وهو التأخير ، يقال: أرجا الأمر إذا أخره .

كانت بداية الفكرة سنيةً ، فعندما نشأ الخلاف والاقتتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، اعتزل فريقٌ من الصحابة النزاع وكانوا كُثُراً منهم ابن عمر وأبو موسى الأشعري وقالوا : لسنا مع أحد نرجئ أمرهما إلى الله ،

فالله هو الذي سيظهر المحق من المبطل .

سميت هذه الفرقة من الصحابة والتابعين **بمرجئة السنة** تمييزاً لهم عن الفرقة المبتدعة التي ظهرت بعد ذلك ولكن هذا الفكر الإرجائي دخلته بدعٌ وأفكارٌ خاطئةٌ فظهرت **مرجئة البدعة** ، وقد بدأت بفكرةٍ سياسيةٍ وهي اعتزال الفرق السياسية من أمويين وشيعة وخوارج ، وقالوا : كل من نطق بالشهادة فهو مسلم ونرجئ أمرهم إلى الله فعلينا بالظاهر والله يتولى السرائر .

ثم تطور فكر المرجئة المبتدعة إلى فكرٍ خطيرٍ : حيث قالوا : الأصل الإيمان وهو في القلب ، فكل من أقر بالإيمان فهو مؤمن ، وبعد ذلك لو ارتكب الكبائر فلا تؤثر عليه .

وقالوا قولتهم الشهيرة : لا يضر مع الإيمان ذنبٌ ولا تنفع مع الإيمان طاعةٌ ، فمن اعتقد بقلبه بالإيمان فهو مؤمنٌ وإن ارتكب الكبائر ، وإن ترك الصلاة والصيام وأركان الإسلام فهو مؤمنٌ نرجئ أمره إلى الله

ومن الأدلة التي يعتمد عليها المرجئة في دعواهم ظواهر بعض النصوص منها حديث : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) ، وحديث : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ، التقوى هاهنا) ، فهم يسلطون الأضواء على أمثال هذه الأدلة وينكرون ما خالفها أوقيدها أوخصصها ، أو يؤولونه ، أو يصرفونه عن مقصوده .

ثم تطور الفكر الإرجائي تطوراً آخر فقالوا : من اعتقد في قلبه الإيمان ولو لم يعمل فهو مؤمنٌ ولو أعلن الكفر بلسانه واتبع اليهودية والنصرانية وعبد الأصنام فهو مؤمنٌ يدخل الجنة .

فالإيمان في القلب ولا علاقة له بالعمل .

ولهذا الفكر أتباعٌ كثر في زماننا فكل من فصل الإيمان عن العمل فهو مرجئٌ ، وقد ظهر في عصرنا ما يسمى بظاهرة الفكر الإرجائي : ومن مقولاتهم : (كل واحد على دينه الله يعينه) ، (كل من رأيت فالخضر اعتقد) ، ولو كان على المعصية .

ويشيعون في ذلك قصصاً منها أن عالماً من علماء الإسلام عند نزعه الأخير طلب من طلابه أن يدفنوه في مقبرة النصارى ، وعندما سألوه أجابهم بأنه نصراني طول حياته ، وعندما ذهبوا ليدفنوه وجدوا النصارى يحملون قسيسهم الميت ليدفنوه في مقبرة المسلمين لأنه ذكر لهم قبيل موته أنه كان مسلماً بالسر

أقول : لو كان الصديق والصحابة رضي الله عنهم يحملون هذا الفكر الإرجائي لما حاربوا مانعي الزكاة ، ولما وصل إلينا الإسلام ، بل لتمزق الإسلام وضاعت مضامينه .

والكثير من التوجهات الدينية خاصة الصوفية منها تحمل هذا الفكر وتنشره بين الناس، وهي بذلك تثبط همم الناس ، بل وتفتح الباب أمام العصاة للازدياد في المعصية بحجة(أن الإيمان في القلب) ، و(كل واحد على دينه الله عينه) ، و(أنت لا تعرف ما في قلبه) .

وقد كتب الأستاذ سفر الحوالي رسالته للدكتوراه عن الفكر الإرجائي وأشرف عليه الأستاذ الكبير محمد قطب وهو بحث قيمٌ ناقش هذه الظاهرة .

وكان هذا الفكر الإرجائي سبب في انتشار الفكر العلماني في بلاد الإسلام وعدم الوقوف في وجهها .

فتجد أحدهم يحارب الدين علانيةً وعندما تدعو إلى الوقوف في وجهه يقف في وجهك بعض المتصوفة بحجة أنت لا تعلم ماذا في قلبه وما هي صلته بالله .

وترى حاكماً جباراً علمانياً يحارب الدين جهاراً ويقتل الدعاة ويسجنهم ، وفي سجونه يسب الله ويداس القرآن ، وفي جيشه يحارب الله والإسلام وتمنع الصلاة ، وفي مدارسه يمنع الحجاب ، وهو ينتمي إلى طائفة باطنية تحارب الإسلام وتنصر أعداءه ، وقد ثبت بالدليل القاطع عمالته لليهود ودفاعه عنهم ، عندما يذكر هذا الرجل بسوءٍ أو ينتقد أمام أحدهم يقول لك: شيخنا رآه يصلي ، و الله أعلم ما في قلبه ، وهو من الأولياء ، وهو وهو .....

رابعاً : فرقة المعتزلة .

وهي أشهر الفرق على الإطلاق ، اختلف الباحثون في سبب تسمية هذه الفرقة ، فذهب فريقٌ من الباحثين إلى أن هذه الفرقة نشأت عندما تنازل الحسن بن علي عن الخلافة ، فاعتزل فريقٌ من الناس السياسة والعامة وجلسوا في مساجدهم فسموا معتزلة ، ولكن هذا الرأي لا سند له من الصحة وليس له دليلٌ معتبرٌ ، وإنما هو مجرد استنتاج لبعض الباحثين والمستشرقين .

وذهب باحثون آخرون إلى أن سبب ظهور المعتزلة أن الحسن البصري كان له درسٌ في مسجد البصرة وكان له تلميذٌ اسمه واصل بن عطاء ، وفي يوم من الأيام طرحت مسألةٌ في مجلس الحسن وهي : هل مرتكب الكبيرة كافرٌ ؟

فرد الحسن البصري على رأي الخوارج القائلين بكفر مرتكب الكبيرة ، فقال : مرتكب الكبيرة ليس بكافرٍ وإنما هو مسلمٌ عاصٍ .

فقال واصل بن عطاء : أرى أنه في مرتبةٍ وسط فوق الكافر ودون المسلم ، ثم ترك واصل حلقة الحسن واتخذ لنفسه حلقةً اخرى ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، فسمي أتباعه بالمعتزلة .

وهناك فريقٌ آخر يرى أن الاعتزال يرجع إلى معبد الجهني الذي نفى القدر ، وغيلان الدمشقي ثم تسلل هذا الفكر إلى واصل ابن عطاء ، وسبب هذا الرأي أن المعتزلة ينفون القدر .

والرأي الثاني هو الراجح وهو ما اعتمده كثيرٌ من الباحثين .

و مهما تنوعت الآراء حول نشأة المعتزلة إلا أن هناك إجماعاً بين الباحثين على أن هناك شخصيات تعد أعمدةً للمذهب : منهم واصل بن عطاء ، وأبو علي الجبائي ، وعمرو بن عبيد ، وبشر بن سعيد ، وإبراهيم

النظام ، وأبو بكر الأصم ، وأبو هذيل العلاف ، و يشمة بن المعتمر .

مبادئ المعتزلة .

للمعتزلة خمسة مبادئ وهي : التوحيد ، و العدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وللوهلة الأولى نرى أن هذه مبادئ أهل السنة والجماعة ، ولكن عند التمحيص نرى أن لها تفسيرها الخاص عند المعتزلة الذي يختلف عن تفسير أهل السنة .

1- مبدأ التوحيد .

يتفق المعتزلة مع غيرهم من المسلمين على أن التوحيد هو دعامة الإسلام الأساسية ، وهم متفقون مع غيرهم في توحيد الربوبية (لا إله إلا الله ، لا خالق إلا الله ، لا رازق إلا الله) وتوحيد الألوهية (لا يتوجه بالعبادة والدعاء إلا إلى الله ، ولا حاكم إلا الله) .

والسؤال المطروح هنا : لماذا أفرد المعتزلة مبدأ التوحيد بالبحث ، وجعلوه مبدأً أساسياً من مبادئهم ؟

الجواب على ذلك : أن التوحيد عندهم يتضمن زياداتٍ على ما ذكره علماء السنة منها :

1- نفي صفات المعاني عن الله تعالى ، فنفو عنه صفة السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام والحياة ، وقالوا : هو عليمٌ بلا علمٍ ، وقادرٌ بغير قدرةٍ ، ومريدٌ بغير إرادةٍ ...

وقالوا : إن إضافة هذه الصفات إلى الله يقتضي قدم هذه الصفات ، وهذا يقتضي تعدد القدماء وهم الله والعلم والسمع والبصر و.... وهذا يعارض التوحيد .

وبالتالي الحل عندهم بالقول بأن الله : عليمٌ بغير علمٍ ، وقادرٌ بغير قدرةٍ ، وسميعٌ بغير سمعٍ ، ومريدٌ من غير إرادةٍ .....فقد تخيلوا قيام هذه الصفات بذاتها ومشاركتها لله عز وجل لذلك نفوها عنه وسبب هذه الأفكار تعمقهم في دراسة الفلسفة واعتمادهم على مناهج الفلاسفة ثم أولوا دلالات الكتاب والسنة على وفق ما درسوه ، فالمعتزلة هم من ترجم الفلسفة ، فعندما تعمقوا في الفلسفة درسوا الكتاب والسنة بنظرة فلسفية فنشأت لديهم أصولهم الخاصة .

أما أهل السنة فيقولون : صفات الله ليست غير الله ، فليست القدرة غير الله ، الله يتصف بصفة السمع وهذه الصفة غير منفكة عنه ، فالصفات قائمة بذات الله غير منفكة عنه .

وقد أخذ المعتزلة هذه الفكرة من الأفلاطونية الحديثة حيث زعموا أن إثبات الصفات إثبات كياناتٍ معنويةٍ تشارك الله في القدم وهذا شركٌ ، لذلك كان التوحيد عندهم في نفي هذه الصفات .

2- نفي إمكانية رؤية الله في الآخرة ، وهي من مقتضيات التوحيد ، لأن الذي يُرى مخلوقٌ والله خالقٌ ، وأنى للمخلوق أن يحيط بالخالق .

وإذا أثبتنا إمكانية الرؤية فقد شبهناه بالمخلوقات المرئية ، فمن مقتضيات التوحيد نفي إمكانية الرؤية عنه .

3- القول بخلق القرآن ، قالوا : إن القول بعدم خلق القرآن يتعارض مع مبدأ التوحيد ، ونفوا صفة الكلام عن الله لأن فيها مشابهة لصفات البشر .

وقالوا : الكلام حرفٌ وصوتٌ وهما مخلوقان والله منزهٌ عن ذلك ، والقرآن حروفٌ وأصواتٌ فهو مخلوقٌ ، والقرآن باللغة العربية فلو قلنا أن الله تكلم بالقرآن حقيقةً يعني أنه تكلم بالعربية وهي مخلوقة ، فالله يتكلم بالمخلوق فهو محل للحوادث وهذا غير صحيح و من مقتضيات التوحيد تنزيه الله عن ذلك .

والحل في رأيهم : أن الله خلق القرآن خلقاً ليعبر عن إرادته ، فالله إذا أراد شيئاً خلق له نظماً ليعبر عنه وهذا النظم هو التوراة أو الإنجيل أو القرآن .

وهذه المسألة خطيرة شغلت الأمة فترةً من الزمن ، وعذب بسببها علماء السنة الكبار وعلى رأسهم الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

2- <u>مبدأ العدل .</u>

يتفق المعتزلة مع جمهور المسلمين على المفهوم العام للعدل ، الله له العدل المطلق .

ولكن لماذا اختص المعتزلة بهذا المبدأ دون غيرهم ؟

السبب في ذلك أنهم فسروا العدل تفسيراً يميزهم عن غيرهم ، فقالوا : من مقتضيات العدل أن الله لا يحاسب الإنسان على شيءٍ يجبره عليه ، وهذا يقتضي أن الإنسان هو من يخلق أفعال نفسه ، فالمصلي هو من خلق صلاته ، وشارب الخمر هو من خلق فعله وليس الله من خلق فعله ، فلو كان الله خالق الأفعال للناس فلماذا يحاسبهم ؟ ، فالإنسان عندهم يصنع قدره لذلك سمي الممعتزلة بالقدرية الجدد لأنهم أنكروا القدر .

فالإنسان لا يجبر على فعله ، ولم يشاركه الله على فعله ولم يقدر الله عليه شيءٌ ، فليس من العدل أن يقدر الله للإنسان أفعاله أو يخلقها له ثم يحاسبه عليها .

و من مقتضيات مبدأ العدل عندهم أن الله حكيمٌ لا يفعل إلا ما فيه صلاحٌ وخيرٌ وذلك واجبٌ عليه ، فيجب على الله فعل الأصلح ، لذلك قالوا : الله يأمر بالحق ولا يأمر بالباطل ، والله يريد الصلاح للإنسان ولا يريد الكفر والمعصية له وهذا ما يسمونه :<u>(**الحسن والقبح العقليين**).</u>

وقالوا : إذا أطاع الطائع فطاعته بإرادة الله ، وإذا عصى العاصي فمعصيته بإرادته وليست بإرادة الله .

لأن الله لايفعل إلا الأصلح والفساد بعيدٌ عن الله ، وفعل الخير من توافق إرادة الله وإرادة الإنسان ، والعاصي

معارضٌ بفعله إرادة الله تعالى .

3- الوعد والوعيد .

قال المعتزلة : إن كلاً من وعد الله ووعيده محققٌ لا محالة فوعده بالثواب واقعٌ ، ووعيده بالعقاب واقعٌ ، ووعده بقبول التوبة واقعٌ ، فالله لا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا إذا تاب ، لأن الله صادق في وعده ووعيده .

فشارب الخمر لا يغفر له ما لم يتب ، ولا بد أن يعاقب لأن الله لابد من أن يعاقبه ، وهم بذلك يخالفون المرجئة الذين يرجؤون أمره إلى الله .

كما أوجب المعتزلة على الله تحقيق وعده ووعيده لأن الأصلح تحقيقهما .

وأنكروا الشفاعة ، وأهل السنة يعترضون عليهم في الإيجاب على الله ، فالله يمكن أن يغفر لمرتكب الكبيرة وإن لم يتب بدليل قوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، فمرتكب الكبيرة مستوجبٌ العقاب ويمكن أن يعفو الله عنه إن شاء .

4- المنزلة بين المنزلتين .

مرتكب الكبيرة عند المعتزلة ليس مؤمناً ولا كافراً بل هوفي منزلةٍ وسطٍ بين المنزلتين .

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو واجبٌ على جميع المكلفين في نظرهم ، وهوعند غيرهم فرضٌ كفائيٌ .

ويقصدون بالأمر بالمعروف تلك الحركة العملية النشطة لنشر المذهب ومبادئه ، فالأمر بالمعروف هوالأمر بمبادئهم ، والنهي عن المنكر هو النهي عما يعارضها ، لذلك استشرس المعتزلة في فرض مبادئهم عندما وصلوا إلى الوزارة وأحاطوا بالخلفاء العباسيين ولم يتسامحوا مع المخالف .

محنة خلق القرآن .

من أهم ما يميز المعتزلة اعتدادهم بأنفسهم وكراهيتهم للتقليد ، فالمعتزلي يحب الحرية الفكرية ، ويحب الانفتاح ، وهو يكثر من القراءة في كتب الآخر ، فقرؤوا كتب الفلاسفة وردوا عليها ، وقرؤا كتب الأديان الأخرى وردوا عليها أيضاً .

لذلك من أهم صفات المعتزلة : الانفتاح وسعة الثقافة وكراهية التقليد ، واعتمادهم على العقل بشكلٍ كبيرٍ جداً ، وتميزوا بقوة الحجة ، و الإفحام في المحاورة ، فلو قال لك المعتزلي: هذه السارية ذهبٌ استطاع أن يقيم لك الذليل على مدعاه .

ولكن مما يؤخذ عليهم عدم تعمقهم بعلوم الشريعة ، وهذه الملاحظة تنطبق كذلك على من يسمون في هذه

الأيام بالمثقفين الإسلاميين ، تجدهم يتقنون أكثر من لغة ، يقرؤون للجميع ، تجد عندهم إحاطةً بالفكر الشيوعي الماركسي والفكر العلماني والليبرالي والرأسمالي ، وعندهم إحاطةٌ بالتيارات والفرق والمذاهب الفكرية وتوجهاتها وأفكارها ، ويتكلمون كمنظرين إسلاميين مع قلة إطلاعهم على العلوم الشرعية ، بل تجد أحدهم يخطئ في قراءة القرآن ، ثم يسمون أنفسهم مفكرين أو منظرين إسلاميين .

والحق أنه لا يمكن لمن يريد التكلم باسم الإسلام إلا أن يكون محيطاً بعلوم الشريعة متخصصاً فيها فالمشكلة في الانفصال : انفتاحٌ كاملٌ على الآخر كل الانفتاح مع ضحالة في العلم الشرعي .

من هنا أتي المعتزلة : عندما أنفتح على الآخر هذا الانفتاح الكبير تصبح عندي أفكاره في اللاشعور ، فإذا جئت لتراثي الإسلامي وإلى مصادري الإسلامية تجدني أُقيمُها بميزان الآخر ، لذلك عندما تصطدم نصوص التراث مع ما وصلت إليه من مقاييس ومعاير فإني أشكك فيما عندي ، وقد لاحظت الكثير من المفكرين عندهم هذه اللوثة .

وقد التقيت بكثيرين درسوا في الغرب وقاموا بعدة دورات في علوم الفلسفة والنفس والمجتمع والتاريخ وغيرها من العلوم الإنسانية وعلوم التربية الحديثة يأتي إلى بلاد الإسلام باسم المجدد الإسلامي .

فتجده يأتي بقواعد الآخر ليفرضها علينا .

فيقول مثلاً : السنة ليست كلها صحيحة ، تسأله ما هو المعيار الذي استخدمته في الحكم على السنة بالصحة أو عدمها ؟ يقول لك : أزن الحديث بميزان العقل فإن وافق العقل أخذت به ، وإلا رميت به عرض الحائط .

وما يدريك أن هذا الحديث يعارض العقل ؟ وهل فهمت الحديث فهماً صحيحاً ؟ أم فهمته فهماً أهوائياً وعارض عقلك الأهوائي ؟

الحقيقة أنهم فهموا الأحاديث كما يفهمها الآخر ، ووزنوها بميزان الآخر ثم أنكروا هذه الأحاديث ورفضوها .

هذه المشكلة كانت عند المعتزلة ونعيشها اليوم مع المعتزلة الجدد الذين ينتقدون التراث تحت مسميات جديدةٍ : نقد السنة ، غربلة التراث وفق قواعدهم الجديدة .

وقد ضخم المعتزلة ميزان العقل على حساب الشرع ، كانت ثقافتهم واسعةً ولكنهم لم يتعمقوا في علوم الشريعة ولم يدققوا .

وكانت ثقافتهم أوسع مما هي أعمق .

فجاءت نظرياتهم الدينية المتعلقة بما وراء الطبيعة نظريات فجة لم تنضج بعد ، ومباحث مستعجلة فاتها الإحكام والتدقيق .

يقول أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام(وهو يعظم شأن المعتزلة) :(جوهر الخلاف بين أهل السنة

والمعتزلة هو سلطة العقل ومداها وحدودها ، رأى المعتزلة أن العقل البشري قد منح من السلطة والسعة ما يمكنه من إقامة البرهان حتى على ما يتعلق بالله ، فلا حدود للعقل إلا براهينه ، ولا زلل ولا خطأ متى صح البرهان ، فاستعملوا البراهين في أدق الأمور وأصعبها وأعقدها ، ففي استطاعة العقل الوصول إلى الحق فيها ، وهكذا كانت نزعة المعتزلة هذه متجليةً في كل أبحاثهم).

كل المستشرقين يعظمون من شأن المعتزلة ويقدسونهم ويجعلونهم رواد الفكر الإسلامي ، وكذلك من تربى على أيديهم يرددون كلامهم ويقدسون المعتزلة ، وقد قرأت لأحدهم يقول : إن عصر المعتزلة هو عصر النهوض بفكر الأمة ، والعصر الذي يليه هو عهد نكسة الأمة ، تسألهم ما هو معياركم في الحكم ؟ وهل عهد الغزالي والباقلاني والرازي والجويني والإسفراييني والآمدي عهد انتكاس الأمة ؟ الحقيقة أنهم ينظرون إلى ما يروق لهم ويلمعون الجانب الذي يروقهم .

فالمعتزلة ضخموا من شأن العقل حتى جعلوه حاكماً في أمور الغيبيات .

فتجدهم في باب صفات الله ينكرون ويثبتون وفق موازينهم العقلية مع العلم بأن صفات الله تعرف عن طريق النقل وليس من طريق العقل ، فدور العقل يأتي مؤيداً للنقل لا حاكماً عليه .

فالمعتزلة يرفضون النقل إن عارض العقل أو يؤولونه ليتوافق مع ما توصلوا إليه من قواعد عقلية مع أن الأصل هو النقل .

النقطة الثانية في فكر المعتزلة في بحثهم في الغيبيات و هي : أنهم يقيسون في الغيبيات الغائب على الحاضر ، فمثلاً عندما تكلموا عن صفة العدل عند الله عز وجل قاسوها على صفة الإنسان ، فالعدل بالمفهوم الإنساني وسعوه ونسبوه إلى الله .

بالنسبة لرؤية الله يوم القيامة رفضوها وقالوا : إن الرؤية مجسمة ، والمرئي ينبغي أن يكون بين طرفي الزاوية وهذا غير جائزٍ على الله ، فهم قاسوا الشاهد على الغائب .

وأبسط رد عليهم أن نقول لهم : وما يدريكم أن هذه العين بحدودها الضيقة هي التي ترى الله ؟

الله عز وجل أليس بقادرٍ على أن يعطي الإنسان قدرةً على رؤية الله من غير حدود ؟

فالأمور الغيبية أصلها التلقي من الشرع ، والتحليل لهذه النقول لا يكون بإسقاطها على القدرات العقلية المحدودة .

فالمعتزلة كما نرى حولوا الدين إلى قواعد عقلية لا يفهمها إلا الأقلون ، وأصبح الدين عندهم منطقٌ وفلسفةٌ أشبه بالمنطق الرياضي ، وبذلك فرغوا الدين من محتواه الروحاني ، ومن محتواه الديناميكي الحركي ، فظهر الدين قضايا علمية منطقية لا أكثر وهذا مما أخذ عليهم .

الأخطر من ذلك أنهم لما تشبعوا بهذه الأفكار والعقائد حاولوا فرضها على الناس بالقوة عندما أتيح لهم ذلك .

فعندما وصل إلى سدة الحكم في الخلافة العباسية – التي كانت أعظم دولةٍ على سطح الأرض– شابٌ متحمسٌ اسمه الخليفة المأمون بن هارون الرشيد رحمه الله ، تسلط المعتزلة على العباد وحاولوا فرض آرائهم بقوة السلطان .

المأمون بن هارون تربى على يدي أبي الهذيل العلاف ، وهو من كبار علماء المعتزلة ، فتشرب منه فكر المعتزلة ، وبعد توليه شؤون الخلافة ، كان شاباً طموحاً يحب الثقافة فقرب شيخه العلاف وقرب المعتزلة ، وكان من رؤوس المعتزلة الذين قربهم أحمد بن أبي دؤاد .

وقد أجرى مناظرات في مجلسه وحوله علماء وفلاسفة المعتزلة الذين استدعوا علماء السنة وناظروهم وأقاموا عليهم الحجج بطرق عقلية منطقية .

فالمأمون انبهر بهم وقرر تحويل قضاء المسلمين إلى قضاء معتزلي وعزل كل من يخالف مذهب الاعتزال .

يقول المؤرخون عن المأمون : (كان عقله عقلاً فلسفياً حراً في تفكيره مع التقيد بأصول الدين ، كان الاعتزال أقرب إلى نفسه لأنه أكثر حريةً وأكثر اعتماداً على العقل ، فقرب المعتزلة وأصبحوا ذوي نفوذٍ في القصر ، وكان من أبرز المعتزلة أحمد بن أبي دؤاد ، وثمامة بن الأشرس) .

البعض يصور المأمون على أنه إمعة ، والحقيقة أنه لم يكن كذلك بل كان قوي الشخصية ، يتأثر بالرأي إذا اقتنع به ويحاول فرضه على غيره ولو بالقوة .

فمثلاً عندما اقتنع المأمون أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل من أبي بكر وعمر بدأ ينشر بين الناس ذلك ، ومن يعارضه يجلد ويضرب ، ولكنه رجع عن رأيه عندما أقيمت عليه الحجة .

ومرةً اقتنع بجواز نكاح المتعة وأرسل إلى قضاة المسلمين أن أبيحوا نكاح المتعة ، فوقف في وجهه القاضي يحيى بن أكثم وبقي يسوق له من الأدلة والقواعد الشرعية ما أقنعه فعدل عن رأيه .

ومن أياديه البيضاء أنه أعلن عن مسابقة للمترجمين ، وجعل لكل من يترجم كتاباً وزنه ذهباً .

هذا هو المأمون وهذه هي شخصيته .

المعتزلة مع سعة عقلهم واطلاعهم كانوا متزمتين متعصبين ضد الآخر ، وهذا ما يسمى احتكار الحق ، فهؤلاء وصلوا إلى قناعة بأنفسهم وعقلياتهم فحاولوا تنحية الآخر مهما كان فكره .

يقول المؤرخون : (كان لهم طابعٌ خاصٌ غريبٌ يجمع بين التعصب الحاد وحرية الفكر المفرطة)

يقول أبو الحسن الندوي رحمه الله : (وقد رأينا عبر التاريخ أن المؤمنين بحرية الفكر المفرطة يغلب عليهم التعصب الحاد ، وكأنهم يريدون أن يحتكروا حرية الرأي ويمنعوها غيرهم وشأنهم في ذلك شأن من قال الله عز وجل عنهم : (إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)).

المأمون والمعتزلة من حوله أرادوا أن يختبروا ولاء الناس لعقائد المعتزلة وأفكارهم ، ولكن يحتاجون إلى مسألة

مفصلية لتكون محكاً للناس ليعلم من مع الدولة ومن ضدها ؟
فكان أن أثاروا **مسألة خلق القرآن** .
وخلاصة المسألة : أنهم يرون أن القرآن الكريم ليس كلام الله ، وإنما هو خلق من خلقه تعالى .
والسبب في ذلك أن القرآن لفظٌ عربيٌ وهو لفظٌ وصوتٌ ، والعربية مخلوقةٌ واللفظ والصوت مخلوقان .
ويستحيل أن يكون الله قد تكلم بحرفٍ وصوتٍ كيلا يكون الله موضعاً للمخلوقات .
واعتبروا هذه القضية أساس التوحيد فالذي لا يقول بخلق القرآن مشكوك في إيمانه وتوحيده ، وبالتالي لا يمكن أن يكون إماماً ولا قاضياً في الأمة .
ونشرت هذه العقيدة لتفرض على المسلمين ، وكتب المأمون إلى قاضي القضاة في بغداد إسحق بن إبراهيم يأمره بأن يشيع بين علماء الأمة هذه العقيدة ، ومن يرفضها فليأت للمناظرة .
وكانت بداية أمرها مناظرة ثم بعد ذلك تتحول إلى سجنٍ وقتلٍ وتعذيبٍ ، مع الحرمان من الحقوق وجميع الامتيازات.
وكتب المأمون في ذلك كتاباً جاء فيه : (قد عظم هؤلاء الجهلة القائلون بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، بقولهم في القرآن السلب في دينهم والجرح في أمانتهم ، وكونهم مع عدو الإسلام ، وليس يرى أمير المؤمنين لمن يرى هذه المقالة حظاً في الدين ولا نصيباً من الإيمان واليقين) .
فالمأمون يتكلم بمنطق إسلامي ، ولكن من وجهة نظره هو ، وما يراه صواباً هو يريد أن يفرضه على الآخرين .
وكتب لواليه أن يأتي بمن يقول بأن القرآن غير مخلوق وقال عنهم : (هم شر الأمة ورؤوس الضلالة منقوصون من التوحيد ، وأحق من يتهم في صدقه وتطرح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام وإخلاص التوحيد) .
وأمره بجمع الناس وامتحانهم في هذه العقيدة ، وبذلك ظهرت (محنة خلق القرآن) .
الملاحظ أن الذي يحتضن هذه العقيدة هو أقوى حاكم على وجه الأرض وهو الخليفة المأمون ، ومن يحاول فرضها هي أقوى حكومة على وجه الأرض وهي الحكومة العباسية وحولها الوزراء والقضاة المعتزلة فمن يجرؤ على الوقوف في وجههم ؟ .
ولكن في المقابل هذه العقيدة لا يفهمها الناس والعوام ولا يوافقون عليها ، ولا يرضى بها العلماء .
فكيف تفرض على الأمة عقيدةٌ لا يفهمها عوامهم ولا يستسيغها علماؤهم ؟
ثم تلجأ الدولة بعد ذلك إلى القمع والإرهاب لفرضها على الناس ؟
أثيرت مسألة خلق القرآن سنة 218 هـ ، الأمة الإسلامية كانت بحاجةٍ لقائدٍ يقف في وجه هؤلاء القضاة

والحكومة ، كثير من القضاة عرضوا على السيف فقالوا بخلق القرآن ، وآخرون واروا واستخدموا التقية طبعاً العامي لا يميز التقية عن غيرها ويظن بأن العالم يقول ما تقوله الدولة .

بقي من العلماء الذين لم يقولوا بخلق القرآن أربعة : أحمد بن حنبل ، وسجادة ، والقواريري ، ومحمد بن نوح ، والباقي إما مختفٍ وإما قائلٌ بلسانه منكرٌ بقلبه وإما موارٍ .

جيء بهؤلاء فأما سجادة فخاف وأقر بخلق القرآن ، وأما القواريري فعذب حتى اعترف بخلق القرآن .

بقي أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، أمر المأمون أن يساقا إليه بالسلاسل ، وقد كان المأمون يجاهد الروم ، ورجع من قتالهم إلى طرسوس ثم إلى الرقة وفيها توفي .

في الطريق تحت ثقل الأغلال توفي محمد بن نوح ، وبقي أحمد بن حنبل رحمه الله .

وقد كتب المأمون قبل موته رسالةً لأخيه المعتصم بأن يأخذ برأي المعتزلة ويقربهم إليه ويجعلهم وزراءه وأهل وده ، وكان المعتصم صاحب سيف يقال أنه كان يتدرب مع الأسود ، وكان رجلاً شهماً ملتزماً بالدين ، وكان معجباً بأخيه المأمون وبأفكاره ولا علاقة له بالعلم ، فكان المعتزلة هم ولاة الأمور العلمية ، وقد استغلوه للانتقام من خصومهم .

وعندما وصل الإمام أحمد مقيداً بالسلاسل إلى مكان المناظرة ووقف أمام المعتزلة ليناقشهم ، قال له ابن أبي دؤاد : يا أحمد ما تقول في كتاب الله ؟

قال : هو كلام الله أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

فقال له : هل هو مخلوقٌ أم غير مخلوق ؟

كان الإمام أحمد يريد أن يسد الباب أمام هذه الفتنة ، لأنه يعلم أن الجدل في هذا الموضوع يقلل من قدسية القرآن في قلوب الناس ، لذلك أجابه : إيتني بكتابٍ أو سنةٍ أقول به ، _أي دليل من الكتاب والسنة _ .

والإمام بهذا الجواب الذكي سد أمامه باب الحوار ، لأنه إذا حاور ستستشري القضية وتدخل الأمة في جدل لا تستطيع الخروج منه .

لذلك أُمر به فرُبطت يداه ورجلاه على خشبة ، وجيء بالجلادين وأخذوا يضربونه بكل قوةٍ ، والخليفة يأمرهم بذلك حتى يغمى عليه ، ثم ينخز بالسيف ويرش بالماء حتى يصحو ، ثم يعاد عليه الضرب ، ثم يوضع في زنزانة مظلمة ، وكانت محنته في رمضان ، وكان يعذب في النهار ويقدم له الماء البارد .

يقول له البعض هامساً : أنت مضطر فاشرب ، فيرفض ذلك .

بقي كذلك ثلاثين شهراً انتهت خلالها خلافة المعتصم فخلافة الواثق ، و في آخر خلافة الواثق أطلق سراح الإمام أحمد رحمه الله .

وفي زمن المتوكل وقف علماء السنة في وجه المعتزلة وردوا عليهم بقوةٍ ودحضوا شبههم فاضمحلت الفكرة ،

وقد نقم المتوكل على المعتزلة فطردهم وقرب أهل السنة وأكرمهم ، وكرم الإمام أحمد .
يقول الإمام أحمد لابن أبي دؤاد : بيننا وبينك يوم الجنائز ، فيوم توفي الإمام أحمد خرج في جنازته كما يذكر الذهبي وابن كثير وابن حجر مليونين ، فغضت بغداد والسواد والجسور التي فوق النهر والسفن في النهر بالناس .
بينما لم يخرج في جنازة ابن أبي دؤاد لم يخرج إلا أربع أشخاص .
فالإمام أحمد بصموده وقف سداً منيعاً في وجه خلق القرآن فبدأت المسألة بالزوال .
يقول العلماء عنه : الإمام أحمد دخل الكير فخرج ذهباً أحمر .
وقال أحد معاصريه : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة .
وقال آخر: من سمعته يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام .
وقال علي بن المديني : (إن الله أعز هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة)
هناك العديد من المواقف في التاريخ تذكر لعلماء وقفوا في وجه خلق القرآن ، وجادلوا في ذلك ولكن رائدهم جميعاً أحمد بن حنبل رحمه الله لذلك سمي بناصر السنة ومجدد القرن الثالث .
من العلماء من تظاهر بالقول بخلق القرآن ، وبعد فترة دخل على الخليفة الواثق يبكي ، فسأله الخليفة عن سبب بكائه فقال : لقد مات القرآن ، فقال له : فكيف ذلك ؟
فقال : أليس كل مخلوق يموت ؟ قال : نعم ، قال : والقرآن مخلوق ، فالقرآن يموت .
وجيء بأحد علماء الشام محملاً بالأغلال من الشام ، قال هذا العالم لأحمد بن أبي دؤاد : هل بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم كل ما أوحي إليه من ربه أم كتم ؟
فقال : نعم بلغ .
فقال: هل علم أن رسول الله أن القرآن مخلوق ؟
قال : نعم .
قال : هل بلغه لأمته ؟
قال : لا .
فقال : هل يجوز لرسول الله أن يكتم شيئاً مما علمه الله ؟
قال : يجوز .
فقال : لماذا كتم رسول الله هذا الموضوع عن أمته ؟
قال : لعله لشيء لا ندري ما هو .
فقال : فهل جاز لرسول الله أن يسكت عن التبليغ وجئت أنت لتبلغ ، أما وسعك ما وسع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ؟
ومما قاله له : هل علم أبو بكر أن القرآن مخلوق ؟ هل علم عمر وعثمان وعلي ؟
ألا وسعك ما وسعهم ؟
ثم توفي الإمام أحمد زمن المتوكل وانحسر أمر المعتزلة ، ولكن أفكارهم لم تنحسر ، وكذلك أتباعهم .
وقد انتقل المعتزلة بعد ذلك من المحفل السياسي إلى المحفل الثقافي .
بعد وفاة أحمد لم يكن في المحدثين والحنابلة شخصيةٌ كبيرةٌ كأحمد بن حنبل ، بينما كان عند المعتزلة الكثير من الشخصيات العلمية الكبيرة تتصدر المجال الثقافي ، وكان الشباب الطموحون يستهويهم الفكر الاعتزالي .
وقد ظهر شخصيات معتزلية قوية وانقاد لهم الكثير من الشباب المثقف الذكي الذي يرى أن المعتزلة يمتازون بدقة النظر وباتساع الفكر والتحقيق ، وأن آراءهم وما وصلوا إليه من نتائج علمية أقرب إلى العقل وصار الكثير من طلاب العلم الشبان وممن يحبون الظهور والتفوق على الأقران يظهرون الاعتزال .
ولم يظهر بين أهل السنة شخصية قوية تجمع بين العلم والدين ، وبين العقل والكتاب والسنة كما فعل المعتزلة .
وقد وقفت مدرسة الإمام أحمد موقف الحياد ، وأخذت موقف أحمد بن حنبل المتمثل في الامتناع عن القول في مسألة خلق القرآن ، والامتناع عن الجدل العلمي والفلسفي .
ولكن الفلسفة تسربت واعتنقها الكثير من الشباب الطامحين ، ولم يعد موقف الحنابلة السلبي ينفع مع السيل الجارف ، فإلى متى يبقى أهل السنة في الحياد ؟
وبدأ يشاع أن أهل السنة متخلفون عن ركب العلم ، ويجهلون مبادئ الفلسفة ، وأصبح الذين لم يتعمقوا في الدين يقولون : أن العقل والعلم يؤيدان المعتزلة .
ولكن العقل المتعمق والعلم الراجح في صف أهل السنة وهو يحتاج إلى من يظهره للناس .

أهم الأسباب التي جعلت علماء المسلمين يكرهون المعتزلة ويحذرون منهم .

1-مخالفتهم طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في فهم العقيدة ، حيث كان السلف يعتمدون على القرآن والنقل الصحيح من السنة ، أما هؤلاء فجاؤوا بقواعدهم ليفرضوها على الكتاب والسنة وعلى الناس .
2-المعتزلة أثروا بمنهج خصومهم في الحوار ، واستخدموا الكثير من عبارات الفرق الضالة .
3-سوء المعتزلة في الحوار فكانوا ينالون من خصومهم ويقذعون لهم في الألفاظ ، فالزمخشري المعتزلي يشبه خصومه بالبهائم .

4–طريقتهم في لي أعناق النصوص لما يوافق مذهبهم .
5–تضخيم شأن العقل على حساب النص .
6–محاولتهم فرض مذهبهم بالقوة على الناس .
كل هذا أدى إلى كره علماء السنة لفكر المعتزلة والنأي عنه .

الأشاعرة والماتريدية

بعد سقوط دور المعتزلة السياسي اتجهوا إلى المجال الفكري فصاروا مهوى أفئدة الشباب إذ أن الشباب المتفتح لا يرى في أهل السنة من المحدثين والحنابلة ما يشبع نهمه ، لا سيما وأن أهل السنة قد توقفوا عند موقف الإمام أحمد الرافض للخوض في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، بينما كان المعتزلة رواد هذا المجال . لذلك كان لابد من ظهور رائدٍ من أهل السنة يخوض غمار هذا البحر فيدرس الفلسفة وعلم الكلام والمنطق ويرد على المعتزلة الدليل بالدليل والحجة بالحجة ويرد على شبهاتهم .
ثم إن المعتزلة بسبب تواطئهم مع الحكام وحربهم لأهل السنة جعل جمهور الناس يكرهونهم ، مع أن الشباب المتفتحين يحبونهم ويميلون إليهم .
يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية : (اشتدت حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين ولم يسلم من حملتهم فقيهٌ معروفٌ أو محدثٌ مشهورٌ فكرههم الناس وصاحب ذكرهم البلاء والمحن وتأرثت العداوة حتى نسي الناس خيرهم) .
وكان لابد من ظهور شخصيةٍ قياديةٍ تدافع عن مذهب أهل السنة وتزاوج بين العقل والعلم وترد على شبهات المعتزلة .
في سنة 260 هجرية ظهر الإمام أبو الحسن الأشعري في البصرة ، كان تلميذاً لأبي علي الجبائي شيخ المعتزلة وكان زوج أم أبي الحسن الأشعري .
وكان أبو الحسن يتميز بعقليةٍ فذةٍ وبشخصيةٍ قويةٍ فاستغله عمه فعلمه أصول المذهب المعتزلي وقواعده حتى برع في المذهب وصار المتحدث الرسمي باسم المعتزلة وبقي على ذلك أربعين سنةً .
ولكن طيلة هذه الفترة كانت تصطرع في نفس أبي الحسن نزعتان : النزعة العقلانية المعتزلية ، ونزعة الميل لأهل الحديث والسنة ، وكان يبحث عن جسورٍ للتواصل بينهما .
و بعد فترة من الزمن طرح أبو الحسن على أبي علي الجبائي مسألة قال له فيها :
مات ثلاثة مسلمٌ وكافرٌ وولدٌ، ما مصيرهم ؟
فأجاب الجبائي : الكافر في النار ، والمسلم في الجنة ، والصبي في منزلةٍ بين المنزلتين .

فقال أبو الحسن : لماذا الكافر في النار ؟
فقال :لأن الأصلح له ذلك ، وكذلك المؤمن الأصلح له أن يكون في الجنة .
فقال أبو الحسن : سيقول الصبي لله : يا الله أنت يجب عليك الأصلح ، أما كان الأصلح لي أن أكبر فأصبح مؤمناً فأدخل الجنة؟
فقال الجبائي : سيقول له الله : كنت أعلم أنك لو كبرت لسلكت طريق الجحيم فدخلت النار فالأصلح لك أن تموت صغيراً .
فقال أبو الحسن : سينادي من في النار : قد كنت تعلم يارب أن الأصلح لي أن أموت صغيراً لماذا تركتني حتى أكبر فأصبح كافراً فأدخل النار ؟
فسكت الجبائي ، فقال له : أجب ، فسكت ، فقال أبو الحسن : وقف حمار الشيخ في العقبة .
ثم إن أبا الحسن اعتزل الناس خمسة عشر يوماً ، يراجع أفكاره .
ثم خرج أبو الحسن بعد ذلك ووقف فوق منبر المسجد وقال للناس : أتدرون من أنا؟ فقالوا : أنت أبو الحسن الأشعري .
فقال : من لم يعرفني فليعرفني أنا أبو الحسن الأشعري كنت أقول بخلق القرآن ، وبوجوب الأصلح على الله ، وبالمنزلة بين المنزلتين ، وبنفي رؤية الله في الآخرة ، وعدد لهم عقائد الاعتزال ثم قال : و أنا أنخلع من الاعتزال انخلاعي من ثوبي هذا وخلع ثوبه وهو على المنبر .
وهذا موقفٌ شجاعٌ يدل على شخصيةٍ قويةٍ تستعد لقبول الحق عندما يظهر لها وإن كان مخالفاً لها .
أبو الحسن نشأ معتزلياً ثم انقض على الاعتزال يهدم أركانه وينصر مذهب أهل السنة ، وقد اختط لنفسه منهجاً للمزاوجة بين النصوص والمنهج العقلي ويؤيد مذهب أهل السنة بالحجج العقلية المنطقية فظهر المذهب الأشعري .
وقد قدر الله تعالى أن يظهر في بلاد خراسان شخصيةٌ أخرى تحمل نفس المنهج وهي شخصية أبي منصور الماتريدي ، الذي نشأ في بلاد خراسان وبدأ يزاوج بين المنهج العقلي ومذهب أهل السنة ويؤيد مذهب السنة بالحجج المنطقية .

أهم عقائد الأشاعرة والماتريدية .

يلخص أبو الحسن الأشعري مذهبه بنقاط :

- المذهب الذي جاء به هو مذهب الصحابة والتابعين وهو مذهب إمام الملة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .
- يأخذ في العقيدة بكل ما جاءت به السنة النبوية من عقائد سواءً أكانت متواترةً أم آحاديةً إذا صح .

فكل ما ثبت عن النبي يأخذ به وفي ذلك رد على المعتزلة الذين يرفضون الأحاديث التي تعارض العقل أو يؤولونها .

- يثبت جميع الصفات لله تعالى الذي وصف بها نفسه في القرآن أو وصفه بها الرسول صلى الله عليه وسلم ويرد على المعتزلة الذين ينكرون صفات المعاني .
- إن الإنسان لا يخلق شيئاً ولا يخلق أفعال نفسه وإنما تتوجه إرادته ورغبته إلى الفعل والله يخلق له الفعل أي القدرة والاستطاعة و استدل على ذلك بقوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) ، وسمى ذلك الأشعري كسباً واستدل بقوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ، فالإنسان تتوجه إرادته للفعل والله يخلق له الفعل وهو يرد على المعتزلة الذين يقولون إن الإنسان يخلق أفعال نفسه ، ويرد على الجبرية الذين يقولون أن الإنسان لا يملك إرادةً ولا اختياراً ، فمذهب الأشعري وسط بين المعتزلة والجبرية .
- يثبت رؤية الله تعالى في الآخرة كما ثبت في القرآن وصح في السنة ، ولكنه يُرى من غير زمانٍ ولا مكانٍ ومن غير كيفٍ ، وهو يرد على المعتزلة الذين ينكرون الرؤية كلياً ، ويرد على المشبهة المجسمة الذين يقولون بأن الله يرى في مكانٍ معينٍ وزمانٍ معينٍ .
- ومرتكب الكبيرة مستحقٌ للعقوبة ، ولكن العقوبة ترجع إلى مشيئة الله فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، واستدل بقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .
ويرد على الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ، وعلى المعتزلة الذين يقولون أنه في منزلةٍ بين المنزلتين، وعلى المرجئة الذين يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية .
- الشفاعة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم وللأنبياء لما صح من أحاديث ، وهي مرتبطةٌ بإرادة الله تعالى لقوله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ، وقوله تعالى : (منذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ، ويرد على المعتزلة المنكرين للشفاعة ، وعلى الرافضة المتوسعين في الشفاعة من غير دليلٍ .

فأبو الحسن منسجمٌ مع منهجه في إثبات العقائد السنة مع استخدام الأدلة العقلية المؤيدة للنقل .

منهج أبو الحسن الأشعري في الاستدلال .

سلك أبو الحسن الأشعري مسلك النقل والعقل المؤيد للنقل ، فهو يتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة ، فالعقل عند أبي الحسن وأبي منصور خادمٌ للنصوص ومؤيدٌ لها وشارحٌ لها وليس حاكماً عليها .

لماذا تبنى الأشعري المنهج العقلي ؟

الأشعري تخرج من المعتزلة وكان الناطق الرسمي باسمهم والمنافح عن مذهبهم لمدة أربعين سنة ، ثم رد المعتزلة لذلك كان يحتاج إلى استخدام نفس سلاحهم .

كما كان له دورٌ كبيرٌ في الرد على الفرق والمذاهب الضالة من القرامطة والفلاسفة والباطنية والشيعة وغيرها ، وقد كانوا يستخدمون الفلسفة والمنطق للدفاع عن عقائدهم وشبههم ، فكان من الواجب استخدام نفس السلاح للرد عليهم .

أشهر علماء الأشاعرة .

الإمام أبو بكر الباقلاني ، وعبد القاهر البغدادي ، وأبو محمد و أبو المعالي الجويني ، وحجة الإسلام الغزالي ، والإمام البيضاوي ، والشريف الجرجاني والباجوري ، و الألوسي المفسر ، و الزركشي ، والسيوطي وشيخ الإسلام مصطفى صبري وغيرهم كثيرٌ .

من كتب الأشعري .

الإبانة في أصول الديانة ، اللمع ، وكشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على المعتزلة ، ومقالات الإسلاميين .

مقارنة بين مذهب الأشعري والماتريدي ومذهب الاعتزال .

1- معرفة الله التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، ولكن هل تتوقف على إرسال الرسل ، أم يمكن للعقل البشري أن يستقل في معرفة الله ومعرفة الحلال والحرام ؟

قال المعتزلة : العقل البشري يستطيع أن يعرف وجود الله ، ويعرف الحلال والحرام دون الحاجة إلى الرسل ، ويأتي الرسل مؤيدين وموضحين لهذه العقيدة ، وفسروا كلمة (الرسول) الوارد في قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) بالعقل .

فالعقل يميز بين الخطأ والصواب ، ويميز الحسن والقبيح .

وقال الاشاعرة : العقل غير المؤيد بالنقل لا يهدي صاحبه إلى تمييز الحق من الباطل، والحسن من القبيح لأنه محكومٌ برغبات الإنسان وشهواته ، ويختلف من إنسانٍ لآخر فلا بد من الشرع ليبين الحق من الباطل .

وقال الماتريدية : الأمور ثلاثة :

أمورٌ يستطيع العقل إدراك حسنها ، و أمورٌ يستطيع العقل إدراك قبحها ، و أمورٌ لا يستطيع العقل إدراك حسنها من قبحها .

فما كان العقل يستطيع إدراك حسنه فهو مكلفٌ به ، وما كان العقل يستطيع إدراك قبحه فهو منهيٌ عنه ، والشرع والعقل قرينان فإن أتى الشرع أتى مؤيداً لحكم العقل .

ولكن لا يحاسب الإنسان على فعله ما لم يأت نهيٌ من الشرع أي بعد بعثة الرسل ، فالطاعة حتى تكون طاعة لا بد فيها من امتثالٍ للأمر ، والمعصية تكون معصيةً إذا كان فيها إعراضٌ عن الأمر

هل أهل الفترة ناجون أم معذبون ؟

على **رأي المعتزلة** الإنسان يعلم الخير من الشر بهداية العقل فإذا اتبعوا هداية العقل نجوا ودخلوا الجنة وإلا هلكوا وعذبوا، فالحسن عندهم ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل .

والأشاعرة قالوا : الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ، فأهل الفترة ناجون لأنه لا تكليف عليهم لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً).

وقال الماتريدية : معرفة الله واجبةٌ بالعقل فلا يجوز إنكار معرفة الله ولولم يرسل الرسل ، لأن معرفة الله من الأمور المعلومة عقلاً و بداهةً ، ولكن لا يعاقبون على المعاصي .

2- أفعال العباد (الاختيار والكسب).

يقول الأشاعرة : الله يخلق أفعال العباد والإنسان له توجه الإرادة إلى الفعل ، فإذا توجهت إرادته إلى الفعل خلق له الله الفعل ، ويحاسب الإنسان على إرادته وتوجهها ، ويسمي الأشاعرة ذلك كسباً ، فمناط الثواب والعقاب هو الكسب .

وقال المعتزلة : الإنسان يخلق أفعال نفسه .

وقال **الماتريدية** : أصل الملكة مخلوقةٌ من قبل الله أما استخدامها في الطاعة أو المعصية فمن العبد ، ويكون من الله في ذلك التوفيق والتيسير أو الخذلان .

فالله خلق في الإنسان القدرة والإرادة والإنسان ينشئ أفعاله بقدرته وإرادته ، وأفعال العبد من خلق الله لأن الله خلق القدرة للإنسان التي بها يأتى بأفعاله .

3- أفعال الله عز وجل هل تعلل بالعلل الغائية ؟

يقول المعتزلة : يجب على الله فعل الأصلح ويمتنع عليه غير ذلك ، فأفعال الله مرتبطةٌ بعللٍ ، فهو يفعل كذا لعلة كذا ، فأفعال الله معللةٌ بعللٍ وغاياتٍ وأهدافٍ وأسبابٍ ويجب على الله فعل الأصلح .

وقال الأشاعرة : إن أفعال الله لا تعلل بعللٍ ، لأن العلة لا تتحكم بإرادة الله وإنما الله يفعل ما يريد لا راد لحكمه ، فالله يفعل ما يشاء من دون وجود علةٍ تدفعه للفعل .

ولكن هل يعني أن الله ليس بحكيم ؟ الله لا تدفعه العلة للفعل وفعله حكيمً ، فلا يوجد ما يقيد أفعاله سبحانه وأفعاله كلها حكيمة ، ففعل الله لا يخلو من حكمةٍ ولكن الحكمة لا تقيده .

وقال الماتريدية : الله تعالى منزهٌ عن العبث ، وأفعاله سبحانه تجري على مقتضى الحكمة ، لأنه الله العليم الحكيم .

والله تعالى أراد هذه الحكمة وقصدها في أفعاله ، ولكنها ليست متحكمة به سبحانه ، فلا نقول إن الله يجب عليه الصلاح والأصلح لأن إرادته مطلقةٌ ، وأفعاله كلها حكيمةٌ ، وهذا هو الرأي الراجح المنسجم مع دلالات النصوص .

انتشار المذهب الأشعري والماتريدي.

تبنى المذهب الأشعري فقهاء الشافعية والمالكية وبعض الحنفية وبعض الحنابلة ، وتبنى معظم الحنفية المذهب الماتريدي وبعض الشافعية وبعض المالكية وقليل من الحنابلة .

وباقي الحنابلة تبنوا مذهب المحدثين .

فأهل السنة منقسمون إلى أشاعرة وماتريدية ومحدثون .

وفي زماننا المعاصر يتبنى الأزهر الشريف وجامعة الزيتونة ومعظم الكليات الشرعية في العالم الإسلامي المذهب الأشعري والماتريدي ، وتتبنى الكليات الشرعية في الجزيرة العربية وبعض جامعات الهند وباكستان المنهج السلفي في العقيدة .

هناك من يحسب الأشعرية على الصوفية ، وهذا غير صحيحٍ لأن الأشعرية منهجٌ عقليٌ ، أما التصوف فمنهج تربيةٍ روحيةٍ ، ولعل ظهور شخصياتٍ أشعريةٍ كبيرةٍ كالإمام الغزالي المجدد الأشعري الذي تبنى منهج التصوف هو سبب الربط بين الأشاعرة والصوفية ، مع أن الغزالي الأشعري يختلف عن الغزالي الصوفي ويتبدى ذلك من خلال قراءة كتب الغزالي الكلامية وكتبه الصوفية ، فهو يظهر في كل منها بشخصيةٍ مختلفةٍ عن الأخرى .

لذلك من الخطأ أن يقال : الصوفية الأشعرية ، أو الأشعرية الصوفية لاختلاف المنهجين ، وإن كان بعض الأشاعرة صوفية ، أوبعض الصوفية أشعرية .

ملامح من منهج الأشاعرة في دراسة العقيدة .

1-حقيقة الإيمان وارتباطه بالعمل .

يبدأ الأشاعرة في دراسة العقيدة من تعريف الإيمان وحقيقته ، فيقولون : الإيمان في اللغة يطلق على التصديق القلبي ، أما عن العمل فهل هو جزء من الإيمان ، أم هو شيءٌ خارجٌ عن حقيقة الإيمان؟

انقسم علماء الأشاعرة في ذلك إلى فريقين :

فريقٌ يرى أن العمل شطرٌ من الإيمان ، فالتصديق شطرٌ والعمل هو الشطر الآخر، وتتكامل حقيقة الإيمان بتكامل التصديق القلبي مع النطق والعمل، فالإيمان تصديقٌ بالجنان ونطقٌ باللسان وعملٌ بالأركان .

وفريقٌ يرى أن الإيمان هو مطلق التصديق القلبي ، والعمل خارجٌ عن حقيقة الإيمان ، وهو شرطٌ لصحة الإيمان وليس جزءاً منه ، فالعمل برهانٌ على صحة الإيمان .

قال صاحب الجوهرة:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

فقيل شرطٌ كالعمل وقيل بل شطرٌ والإسلام اشرحن بالعمل .

فالأشاعرة لا يقللون من شأن العمل كما يدعي البعض ممن يزعم أن الأشاعرة مرجئة ، وهذا محض افتراءٍ ، بل الأشاعرة عند تعريفهم للإيمان بحثوا في تعريفٍ مجردٍ للإيمان فاختلفوا في التعريف مع اتفاقهم على وجوب العمل وهل هو شرطٌ لصحة الإيمان أم هو شطرٌ منه ؟.

ومن أدلتهم قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا، قل لاتقولو آمنا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) فالإيمان ما دخل في القلب واستقر.

2- معرفة الله وصفاته .

أ-إثبات وجود الله .

يستخدم الأشاعرة في إثبات وجود الله أسلوباً علمياً فلسفياً ، فهم يذكرون مجموعة من الأدلة الفلسفية من أشهرها :

- دليل الفطرة والبداهة : الإنسان يستدل على وجود الله بفطرته ، فالإنسان مهيأ لمعرفة الله ، والقرآن خاطب هذه الفطرة وأزال عنها الغواشي حتى تبصر وجود الله ، وقد اعتمد الأشاعرة على هذا الدليل في إثبات وجود الله .
- دليل الخلق والإبداع : وهو أسلوبٌ قرآنيٌ تستدل فيه على الخالق عن طريق التفكر في الخلق.
- دليل النظام الكوني : وهو أيضاً أسلوبٌ قرآنيٌ تستدل به على الله من خلال النظر في نظام هذا الكون الفسيح.

وهذه الأدلة تناسب عموم الناس ، أما الفلاسفة والملاحدة فلا بد من أسلوب آخر في حوارهم ، وبهذا يميزهم عن غيرهم من المذاهب بأنهم يدرسون العقيدة من قبل الإسلام أي يناقشون في وجود الله وفي قضية الرسل واليوم الآخر ، وكل ذلك بأسلوب عقليٍ منطقيٍ ، ثم يأتون لدلالات النصوص التي تثبت العقائد فيزاوجون بين ما توصل إليه العقل مع ما دلت عليه النصوص.

وقد اعترض السلفية على الأشاعرة في هذا المنهج وعابوه عليهم ، وقالوا لابد من البدء في درس العقيدة من صفات الله لا من وجوده فهو موجودٌ بداهةً .

وقد اتخذ الأشاعرة في إثبات وجود الله أدلةً فلسفيةً منها:

- دليل بطلان الرجحان من غير مرجح : يقولون : هذا الكون يمكن أن يوجد ويمكن ألا يوجد ؟ فالوجود والعدم احتمالان متساويان ككفتي الميزان ، و قد ترجح الوجود على العدم ، فلابد من وجود

مرجحٍ لجانب الوجود ، هذا المرجح هو الخالق الموجد .

- دليل بطلان الدور الجدلي: (الحلقة المغلقة)

العالم إما خالق أو مخلوق ، فإن كان مخلوقاً فمن خلقه ؟ فإن قيل : إنه خلق نفسه ، قيل: هل يمكن أن يكون خالقاً ومخلوقاً في آن واحد؟

- دليل العلة الغائية:

قد يسأل سائلٌ أحد المختصين عن الغاية من وجود العين ؟ فيستفيض له في بيان هذه الغاية .

وإذا سألته عن الغاية من الأنف والأذن واليد استفيض في بيان الغايات .

فهل يعقل أن يكون لكل عضو من أعضاء الإنسان غاية ولا يكون للإنسان غاية .

وكذلك يقال في خلق السماء والأرض و.....فالكون كله يسير بلا غاية ولا يوجد مخطط ومدبر لهذا الكون .

المحرك والمدبر لهذا الكون هو الخالق القدير.

- دليل بطلان التسلسل اللامتناهي :

معنى التسلسل تسلسل الأسباب والمسببات إلى لا نهاية ، زيد جاء من عمرو وعمرو جاء من خالد .....لابد من وجود واحد في بداية السلسلة ، فتعاقب العلل إلى ما لا نهايةٍ مستحيلٌ عقلاً ، فلا بد من علةٍ بدائيةٍ ، ونقطة إنطلاقٍ .

كل موجود لا بد له من موجدٍ ، وهذا الموجد له موجدٌ وهكذا حتى نصل إلى الموجد الأول .

هذا الموجد هو الله مسبب الأسباب .

فالأشاعرة كما رأينا يبدؤون دراسة العقيدة بإثبات وجود الله ، ويردون على الملاحدة الدهريين الذين ينكرون وجود الخالق ثم يأتون بالأدلة القرآنية التي تتفق مع ما أثبته العقل ، ثم يشرعون بعد ذلك في بيان صفات هذا الخالق.

يقسم الأشاعرة صفات الله إلى مجموعات :

1- الصفة الذاتية : وهي الوجود.

2-الصفات السلبية: وهي كل صفةٍ معناها سلب عن الله ما لايليق به سبحانه ، فهي صفات تنزيهية لله تعالى ، فإثبات هذه الصفات لله تعالى يقتضي تنزيهه عما يعارضها .

أ- الوحدانية:الله واحدٌ في ذاته ، واحدٌ في صفاته ، واحدٌ في أفعاله .

ومقتضى الوحدانية سلب الشريك عن الله ، فلا إله يشارك الله الألوهية ولا الربوبية ، ولا أحدٌ يخلق كخلقه ، أو يفعل كفعله أو يقدر كقدرته ، ولا إرادة تعارض إرادته.

والأدلة على ذلك كثيرةٌ نقلاً وعقلاً ، قال تعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) .

وقال تعالى : (لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا)، وقد ساق الأشاعرة الكثير من الأدلة العقلية والمنطقية لإثبات هذه الصفة وغيرها .

من هذه الأدلة :

-الوحدانية تعني نفي الكموم الخمسة عن الله :الكم المتصل بالذات (الله غير مألف من أقسام وأجزاء وأعضاء)

الكم المنفصل عن الذات (الله ليس عدة ذوات ، شركة آلهة)

الكم المتصل بالصفات (الله صفاته واحدة له قدرة لا قدرتان ، وإرادة لا إرادتان ....)

الكم المنفصل في الصفات (ليس لغير الله صفات كصفاته).

الكم المنفصل في الأفعال (لا يستطيع أحد أن يفعل كأفعال الله) .

ب-القدم : الله لا أول له ، وهي صفة تسلب عنه الحدوث.

ت-البقاء:الله لا آخر له ، وهي صفةٌ تسلب عنه الفناء ، قال تعالى : (هو الأول والآخر) .

ث-قيامه بالنفس:أي سبحانه لا يحتاج لغيره ، فهو مستغنٍ عن العالمين ، فهو قويٌ بذاته

قال تعالى : (إن الله غنيٌ عن العالمين).

وهذه الصفة تسلب عن الله العجز والافتقار إلى المساعدين .

ج- المخالفة للحوادث : أي أنه سبحانه لا يشابه المخلوقين ، وهذه الصفة تسلب عن الله احتياجه إلى جهة يكون فيها أو زمان يكون فيه ، أو كونه مألف من أعضاء وأجزاء ، أو يحتاج إلى طعام وشراب ونكاح، أو أن صفاته تشابه صفات خلقه .

يقول صاحب الجوهرة :

وواجبٌ له الوجود والقدم	كذا بقاءٌ لا يشاب بالعدم
وإنه لما ينال العدم	مخالف برهان هذا القدم .
قيامه بالنفس وحدانية	منزهاً صفاته سمية .
عن ضدٍ أو شبهٍ شريكٍ مطلقاً	ووالدٍ كذا الولد والأصدقا .

2- صفات المعاني(الإيجابية): هذه الصفات تثبت لله وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر و الكلام.

وهذه الصفات استنبطوها من القرآن الكريم، وأيدوها بالأدلة العقلية المنطقية .

فالعلم مثلاً دليله قوله تعالى : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

والدليل العقلي : إذا لم يكن عالماً فهو جاهلٌ ، ولا يتصور أن يصدر هذا العالم المتقن عن جاهل.

4-الصفات المعنوية: الحي العليم القادر المريد السميع البصير المتكلم ، الله يتصف بالحياة فهو حيٌ ، ويتصف بالعلم فهو عليمٌ ....

فهذه الصفات إذا نظرت إليها بذاتها سميتها صفات معاني ، وإذا نظرت إليها باعتبار ارتباطها بذات الله سميتها معنوية .

5-الصفات الجامعة : العظمة ، الكبر ، الجبروت ، العلو ، الملك، العزة ، القوة ، و كل الصفات تنضوي تحتها .

6- صفات الأفعال : الرزق فهو رزاق، صفة التعليم (ويعلمكم ما لم تعلموا) ، صفة الإيتاء (ويؤت كل ذي فضلٍ فضله) ، صفة الإنباء .

وهذه الصفات يتردد الأشاعرة في وصف الله بها ، يقولون هو يفعلها ولكن هل يجوز أن أصفه بالمعلم أو غيره؟ الغالب على الأشاعرة التورع عن هذا ، وينسبون له متعلقاتها .

7- صفة الرأفة والرحمة والحلم والمغفرة : الأشاعرة يقولون الله رؤوف رحيم ، ولكنهم يتحرجون في إثبات هذه الصفات له تعالى لما فيها من ضعف ورقة وهي صفات بشرية .

ولكن يقال لهم : ألم تثبتوا لله السمع والبصر؟ أليس فيهما مشابهةٌ للبشر؟ لماذا لا تقولون : له سمعٌ لا كسمعنا ، و رحمةٌ لا كرحمتنا .

والسبب في وقوعهم في هذه المشكلة قياسهم الشاهد على الغائب كما فعل المعتزلة : فهم يريدون تنزيه الله ولكنهم نفوا عنه بعض صفاته كصفة الرحمة والرأفة والحلم وغيرها لأنها صفات بشرية .

هذا هو الهيكل العلمي المنطقي لأقسام الصفات الإلاهية في الفكر الأشعري ، وما وراء ذلك من صفات تؤول لتنضوي تحت ظلال هذا التقسيم .

وقد وردت نصوص تثبت لله ما يخالف ما ذكر فما العمل؟

العمل عند الأشاعرة هو تأويل هذه النصوص بما يتوافق مع ما ذكرناه سابقاً ، أو التفوض إلى الله تعالى، وهذه المسألة عند الأشاعرة تسمى مسألة (التأويل للمتشابهات أو تفويضها) .

يقول صاحب الجوهرة :

وكل وصفٍ أوهم التشبيه أوله أو فوض ورم تنزيها.

ومن أمثلة ذلك : (يد الله فوق أيديهم) ، (ولتصنع على عيني)، (الرحمن على العرش استوى) ، (وجاء

ربك) ، (والأرض جميعاً قبضته) ، وحديث : (ينزل ربكم إلى السماء الدنيا) ، (يوم يكشف عن ساق)، (إن الله خلق آدم على صورته) .

فإثبات اليد والعين والاستواء والحركة والقبض والساق والصورة والنزول لله معارضٌ لما ذكرنا من مخالفته تعالى للحوادث والتي أثبتها الأشاعرة بمئات النصوص والأدلة العقلية فما العمل ؟

الحقيقة أن هناك خلاف في موقف أبي الحسن الأشعري من قضية الإثبات لهذه الصفات .

كان الأشعري كما ذكرنا في بداية حياته معتزلياً ، ثم ابتكر المذهب الأشعري التأويلي ، وفي آخر حياته كان مثبتاً بلا كيف فيقول عن الله: له يدٌ كما قال لا كأيدينا ، وأعينٌ لا كعيوننا ، وينزل نزولاً يليق بجلاله ، ويستوي كما قال استواءً يليق بجلاله، وذلك في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) وهو من آخر مؤلفاته.

يقول فيه : (الله استوى على العرش ، وأن له وجهاً كما قال ، وأن له يدين بلا كيف كما قال ، وأن له عيناً بلا كيف ، ونثبت له السمع والبصر.....) فهو يثبت هذه الصفات لله بلا كيف.

ولكن الأشاعرة جميعاً كمدرسةٍ خالفوا ذلك وقالوا : إما أن نقول الله أعلم بمراده ولا نقول بها وهذا يسمونه تفويضاً ، فيقولون : الاستواء والعين واليد وغيرها نفوض معانيها لله تعالى .

وإما أن يؤولوا المعاني : فأولوا النزول بنزول الرحمة ، واليد بالقدرة ، والاستواء بمعنى الاستيلاء على المخلوقات ، والأرض جميعاً قبضته : أي تحت قدرته ، فمقصد الأشاعرة هو تنزيه الله عما يليق.

والسؤال المطروح: ما موقف الأشاعرة من إثبات شيخهم الأشعري؟

بعض الأشاعرة ينكرون ما نسب للأشعري في الإبانة من الإثبات ويعتبرون ذلك مدسوساً عليه ، والأشاعرة المعاصرون مضطربون في وصف عقيدة الأشعري في آخر حياته ، فنرى الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (كبرى اليقينيات الكونية) يذكر أن عقيدة الأشاعرة إما تفويض أو تأويل ، وأما في كتابه (العقيدة والفكر المعاصر) فيذكر أن الأشعري مثبتٌ ، وينقل نصاً طويلاً من الإبانة يثبت فيه ذلك.

كلام الله.

قال المعتزلة : القرآن مخلوقٌ ، وقال أحمد بن حنبل :هو كلام الله والله تكلم بحرفٍ وصوتٍ.

أما الأشاعرة فأثبتوا لله صفة الكلام ، ولكنهم قالوا: هو متكلمٌ بلا كيفٍ ، بلا حرفٍ وصوتٍ ، ولا يوجد في كلامه تقديمٌ وتأخيرٌ ككلام البشر.

والله لم يتكلم باللغة العربية ولا بغيرها لأنها مخلوقةٌ ، فلو تكلم بها لكان محلاً للمخلوقات ، لذلك لحل هذه المعضلة ابتكر الأشاعرة ما يسمى بالكلام النفسي وهو صفة من صفات الله.

فقالوا : الله تكلم بالقرآن حقيقةً بلا كيف ، وخلق نظماً عربياً معجزاً ليعبر به عن كلامه .

فالقرآن بالنظر إلى أنه كلام الله ليس مخلوقاً ، أما بالنظر إلى النظم العربي فهو مخلوق النظم.

قال صاحب الجوهرة :

وكل لفظٍ للحدوث دلا احمل على اللفظ الذي قد دلا .

أما بقية أركان الإيمان الستة كالإيمان بالرسل والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر، فهم يعتمدون على النصوص ويسوقون الكثير من الأدلة العقلية والمنطقية لإثباتها ، وخاصةً مسألة القدر وإرادة الإنسان كما مر معنا في مسألة الكسب الأشعري.

المنهج السلفي.

ويطلق عليه أيضاً منهج المحدثين ، او منهج الحنابلة ، أو منهج ابن تيمية ، وفي الوقت الحالي ظهرت الدعوة الوهابية التي تبنت هذا المنهج وزادت فيه.

رائد هذا المنهج هو الإمام أحمد رحمه الله الذي وقف سداً منيعاً في وجه المعتزلة ، ورفض الخوض في الفلسفة وعلم الكلام ، ثم سار تلامذة الإمام أحمد (الحنابلة) من بعده على منهجه في رفض الفلسفة والمنطق والكلام، ووقفوا في وجه من يشتغل فيها ، إلى درجة اتهام الآخرين في نواياهم ، وفي القرن الرابع الهجري ظهرت جماعة من الحنابلة يزعمون أن عقيدتهم هي عقيدة السلف الصالح وهي عقيدة الإمام أحمد، وغالوا في ذلك ، وبدعوا وفسقوا كل من خالفهم ممن اشتغل في علم الكلام كالأشاعرة وغيرهم .

وزعموا أن الخوض في الفلسفة زندقةٌ ، واعتبروا الخوض في علم الكلام والمنطق يعارض منهج الإسلام ونالوا بشدة من خصومهم ، وقد نتج عن ذلك صداماتٌ كبيرة بينهم وبين الأشعرية.

وفي القرن السابع ظهرت شخصيةٌ علميةٌ كبيرةٌ بين الحنابلة هي شخصية الإمام المجدد الحنبلي أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

الإمام ابن تيمية حنبليٌ ينسب نفسه لمنهج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، درس الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، ثم هاجم الفلاسفة والمتكلمين ، ورد على جميع الفرق والمذاهب من معتزلة وأشاعرة ، وقال بأنه يناصر منهج السلف الصالح في الاعتقاد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين.

وكان لابن تيمية مجموعة من التلامذة كابن قيم الجوزية والإمام الذهبي والإمام ابن كثير وغيرهم.

وفي القرن الثاني عشر الهجري ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية التي تبنت منهج ابن تيمية في العقيدة وأضافت إليه الكثير من التشدد، وعملت على نشر هذا المذهب بالقوة.

ثم خمدت الدعوة تحت ضربات الدولة العثمانية ، لتعود للظهور في القرن العشرين بدعمٍ من آل سعود الذين أخضعوا معظم الجزيرة لسلطانهم وفرضوا المنهج الوهابي على مناطق سيطرتهم ، وسموا ما استولوا عليه من الجزيرة العربية بالسعودية.

هذا المذهب له امتدادات في باكستان والهند ، وبفضل الجامعات القوية التي تبنت الوهابية في السعودية

والأموال الهائلة التي تنفقها الدولة انتشر المذهب في الكثير من البلاد الإسلامية ، وبين الكثير من الجاليات الإسلامية في أوربا والأمريكيتين .

هذا المذهب يدعو إلى العودة لما كان عليه السلف الصالح في العقيدة ، وطرح المناهج الكلامية والفلسفية التي دخلت في دراسة العقيدة.

يقسم ابن تيمية الباحثين في العقيدة إلى أربع فرق:

1–فريقٌ لا ينظر إلى القرآن أبداً ولا إلى السنة النبوية ، وإنما يدرسون العقيدة بأسلوب منطقي فلسفي ويسمونه بالبرهان ، ويسمون نتائج هذا البحث باليقين ، فهم يبحثون في حقيقة الكون والخالق حتى يثبتوا وجود الخالق ، ويثبتون الدين، وهؤلاء هم الفلاسفة الإسلاميون كابن سينا والفارابي والكندي وابن رشد.

2–فريقٌ يدرس القضايا العقلية والفلسفية والمنطقية أولاً ، ثم يدرسون النصوص ، ثم يؤولون ما عارض عقولهم من النصوص وهؤلاء هم المعتزلة .

3– فريق ينظرون ما في القرآن من عقائد فيؤمنون بها ويستخدمون العقل وأدلته ليؤيدوا عقائد القرآن وهم الماتريدية.

4–وفريق يؤمنون بما في القرآن من عقائد ويستخدمون الأدلة القرآنية بجانب القرآن وهم الأشاعرة.

وبعد ذكره لهذه الفرق يقول: والمنهاج الصحيح على خلاف هذه المسالك فالعقائد تثبت من النصوص والقواعد العقلية والفلسفية بدعةٌ محدثةٌ .

مسائل العقيدة وفق المنهج السلفي.

1–**التوحيد** : يسمي السلفيون مباحث العقيدة بالتوحيد باعتبار أن بحث التوحيد أهم هذه المباحث.

فالتوحيد أساس الإسلام وهم يدافعون عن التوحيد دفاعاً كبيراً جداً.

والتوحيد موضوع اهتمام جميع المذاهب ولكن ما يميز السلفية أنهم تعرضوا لممارسات يقوم بها الناس يرون أنها تعارض التوحيد.

من هذه الأمور:

أ– التوسل إلى الله بأحدٍ من عباده ، وهو يعارض التوحيد فالله تعالى لا يحتاج إلى وسائط كالحكام الظلمة ، الله قريبٌ من الناس .

ب–التوجه بالدعاء إلى قبر نبيٍ أو وليٍ .

وقد قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

أ– توحيد الذات والصفات: وهم متفقون مع غيرهم في إثبات الصفات الأساسية لله ، ولكنهم يتوسعون في الإثبات ، فهم يثبتون لله اليد لا كأيدينا ، والعين والرجل والمجيء والنزول والضحك

والسرور والغضب ، بلا كيفٍ كما جاء في النصوص ، ويرفضون التأويل مطلقاً.
وقد توسع السلفية في الإثبات لدرجة أنهم يثبتون بعض العقائد بنصوصٍ ضعيفةٍ ويحاولون جبر ضعف النصوص مع أنها كثيراً ما تعارض النصوص القطعية وقواعد الاعتقاد الأساسية .
من ذلك :
حديث : (كان في عماء ما فوقه سحاب وما تحته سحاب) والعماء هو الغمامة، فالله قبل خلق الخلق كان في الغمامة ، وهذا يعارض عقيدة الإسلام فمن قواعد العقيدة الأساسية أن الله مخالف للحوادث لا يحتاج إلى مكانٍ يحويه.
ومن ذلك إثباتهم لحديث الأوعال التي تحمل عرش الله (وهو من الموضوعات والله أعلم).
وقد غالى السلفية في الإثبات ، كما غالى الأشاعرة في التنزيه والتأويل .
فمثلاً السلفية يثبتون أن الله في السماء ، وأنه مستو على عرشه وأنه في العلو و يستدلون على ذلك بظواهر الكثير من الآيات ، وبحديث الجارية التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم عن الله فقالت :هو في السماء.
والأشاعرة توسعوا في تأويل هذه النصوص من ذلك تأويل النسفي لقوله تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور)، قال: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو منزهٌ عن الزمان والمكان ، أو أأمنتم من في السماء ملكه.
والحق أن النصوص أقسامٌ:

- نصوص ظاهرة التأويل كقوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) أي معونته وتأييده، (ولتصنع على عيني) أي تحت رعايتي.
- نصوص ليست على ظاهرها وجاءت على سبيل المشاكلة

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبةً وقميصاً.
الجبة والقميص لا تطبخ ولكن جاء بها الشاعر محاكاةً لكلام المتكلم .
ومن هذا الباب قوله تعالى: (ومكروا ومكر الله) الله لا يمكر وإنما يبطل مكر الكفار، وقد أثبت السلفية لله المكر الإيجابي بمعنى التخطيط والتدبير ، ومن هذا الباب قوله تعالى: (وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها) فالرد على الإساءة وعقوبة المسيء ليست بالعمل السيء إلا من باب المشاكلة اللفظية .

- وهناك نصوص بعيدة التأويل كتأويل الأشاعرة لقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) أي استولى، والعرش هو قبة المخلوقات ، والله مستولٍ عليها ، واستشهدوا بقول الشاعر:

استوى زيدٌ على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق .

ولكن هذا التأويل بعيدٌ ، وهذا البيت متأخرٌ ولا يصح الاستدلال به.

ب–توحيد العبودية : أن خالق هذا الكون واحد ، لاخالق إلا الله ولا رازق إلا الله ،ولا محيي إلا الله ولا مميت إلا الله.

ت–توحيد الألوهية: ألا يتجه المرء في العبادة إلا إلى الله ، وهذا يعني أن يعبده وحده ولا يعترف بألوهية غيره، وألا يعبده إلا بما شرع (يخرج بذلك جميع البدع).

من خوارم هذا النوع من التوحيد توجيه نوعٍ من أنواع العبادة لغير الله ، كالدعاء والتوسل والاستغاثة بالمقبورين .

وقد توسع ابن تيمية والسلفية في هذا النوع كثيراً وهاجموا الرافضة و بعض الفرق الصوفية التي أخلت بهذا التوحيد.

2–كلام الله .

مر معنا أن المعتزلة يقولون القرآن مخلوقٌ وينفون عن الله صفة الكلام ، والأشاعرة يثبتون صفة الكلام لله ويسمونه بالكلام النفسي ، ويقولون: بأن النظم العربي مخلوقٌ.

أما ابن تيمية فينقل عن الإمام أحمد قوله : السلف يقولون الله لم يزل متكلماً بالعربية وتكلم بالقرآن العربي بلا كيف ، ونقله جبريل من الله إلى الرسول كما سمعه من الله .

ويردون على الأشاعرة بقولهم بالكلام النفسي ، ويقولون عن الأشاعرة أنهم شركاء المعتزلة في القول بخلق القرآن.

3– مسألة الجبر والاختيار

قالت المعتزلة بأن الإنسان خالق أفعال نفسه ، وقالت الجبرية الإنسان مجبرٌ على أفعاله، وقالت الأشعرية بأن للإنسان الاختيار والكسب والله يخلق له الفعل ، وقالت الماتريدية : الله خلق للإنسان قدرة بها تصدر أفعاله وذهب ابن تيمية ومن تبعه إلى نفس ماذهبت إليه الماتريدية.

4– مسألة تعليل أفعال الله بالعلل الغائية.

يرفض الأشاعرة تعليل أفعال الله بالعلل الغائية كما مر معنا لأن الله يفعل ما يشاء ، وقال ابن تيمية: بأن الله خلق الخلق وأمر بالمأمورات ونهى عن المنهيات لحكمٍ محمودةٍ وهو قريبٌ من مذهب الماتريدية.

توسع المذهب السلفي في الرد على البدع العقائدية:

كالتوسل والاستغاثة بالصالحين ، وزيارة قبور الأنبياء والصالحين للتبرك بها، النذر للقبور والمقبورين ، حتى أنهم حرموا زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بقصد التبرك والتوسل والدعاء

عنده.

وكل ذلك جعلوه معارضاً لتوحيد الألوهية ، وتشدد ابن تيمية في ذلك حتى قال بعدم جواز شد الرحال بقصد زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

فقضية التقديس للموتى وأرواح الأنبياء والأولياء مرفوضةٌ عند السلفية وقد خاضوا حروباً ضروساً ضد الصوفية في كل مكان التقى فيه الفريقان سواء بالكلام أم بالحسام.

والسلفية كالمعتزلة في النيل من خصومهم والإقذاع لهم في الكلام ووصمهم بأفظع الأوصاف من تكفيرٍ وتبديعٍ وإخراجٍ من الملة ، وتحريمٍ مناصرتهم إن نزل بهم بلاء أو دهمهم عدو .

وقد حارب الوهابية المخالفين في الكثير من البلاد وخربوا القبور والأضرحة .

المبحث الثالث

الطرق الإسلامية السلوكية

تمهيد في اختلاف الناس في شأن التصوف.

إن دراسة هذا الموضوع صعبةٌ جداً لأنه موضوعٌ متشعبٌ جداً، والدارسون له فرقٌ شتى وطرائق قدداً.
فهناك المغالون في وصفه فيزعمون أن من صاحب النبي صلى الله عليه وسلم سموا بالصحابة لأنه لا شرف فوق شرف الصحبة ، ومن جاء بعدهم سموا بالتابعين لأنه لا شرف فوق هذا الشرف، ثم الجيل الذي بعدهم من الصالحين والعلماء والأتقياء فسموا بالصوفية ، ولكن هذا الكلام ليس بصحيحٍ وهو من الاجحاف بمكان بحق ذلك الجيل الفريد الذي ضم خيرة أئمة الأمة فليست الأمة كلها صوفيةً ، كما أن مصطلح التصوف لم يكن شائعاً في ذلك الوقت.
وفي المقابل يذهب فريقٌ من الباحثين إلى أن الصوفية ليست من بلاد الإسلام ولا تنتمي لملته بل هي وافدةٌ تسربت من الثقافات والحضارات والديانات الأخرى كالمجوسية الزرادشتية والبرهمية الهندية والكونفوشيوسية الصينية والرهبانية المسيحية ، وهذا الفريق أيضاً قد جانب الصواب.
وهناك فريقٌ آخر يرى أن التصوف بدعةٌ لاعلاقة لها بالإسلام ، وكل البدع والضلالات خرجت من مستنقع التصوف وهذا الكلام أيضاً فيه من التجني ما فيه.
وهناك من يرى أن أهل الحق وأهل الطريق المستقيم وأولى الناس بالاتباع هم الصوفية وهذا الكلام أيضاً مجانبٌ للحق.
إذاً ما هو التصوف ومامفهومه وما فرقه؟ وهل هو مقبولٌ أم مرفوضٌ؟ أم فيه ما يقبل وما يرفض؟
لنبدأ بتعريف التصوف ثم نبين أقسامه لتتضح لنا حقيقة أمره .

تعريف التصوف .

هو علمٌ تعرف به أحوال يدرس النفس البشرية محمودها ومذمومها ، وكيفية تطهيرها من المذموم وتحليتها بمحمودها ، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى لنيل رضاه وجنته.
فالتصوف بكلمتين: التخلية والتحلية ، تخلية النفس من صفاتها المذمومة وتحليتها بالصفات المحمودة.

سبب التسمية .

اختلف الباحثون في سبب تسمية التصوف بسبب اختلاف وجهة النظر إليه فذهب **بعضهم** إلى أن التصوف منسوبٌ إلى جماعة في الجاهلية يسمون بآل صوفان اشتهروا بالاعتكاف حول الكعبة وإكرامهم لها وخدمدتهم للحجاج وانقطاعهم للعبادة حول الكعبة ، ويذكرون في ذلك قول الشاعر:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صوفانا.

وهذا الرأي هو رأي **ابن الجوزي**، وبعض الصوفية يتمسكون بهذا النسب ظناً منهم أنه يعطي التصوف قدماً

وعراقةً.

ولكن نقول : بأن في هذه النسبة ذمٌ للصوفية بنسبتهم إلى الجاهلية ، فشرف الإنسان بانتسابه إلى الإسلام لا بالنسبة إلى الجاهلية وأهلها ، كما أن هذه الجماعة (آل صوفان) لا وجود لها في التاريخ إلا في أحلام الصوفية.

كما أن البيت ورد بالشكل التالي:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا.

ثم إن هذه النسبة غير صحيحة لغوياً ، فالنسبة إلى صفوان هي صفواني ، وليست صوفي .

وهناك من يرى نسبة الصوفية إلى أهل الصفة ، وأهل الصفة هم فقراء المسلمين الذين كانوا يبيتون تحت صفة المسجد يتفرغون للعبادة والعلم والجهاد ، ويزعم هؤلاء أن أهل الصفة هم سلف الصوفية .

ويرد عليهم بأن حالة أهل الصفة كانت حالة اضطرارية اقتضتها ضرورةٌ زمنيةٌ بسبب فقر الدولة الإسلامية وكانت حالة أهل الصفة حالة استثنائية وقتية ، ثم إن أهل الصفة لم يكونوا جماعةً واحدةً أوأشخاصاً محددين بدأت حالة أهل الصفة بعد أمر النبي لجميع المسلمين بالهجرة إلى المدينة وقال: (أنا بريئ من كل مسلم يقيم بين ظهراني المشركين) ، لأن الدولة الإسلامية كانت تحتاج للجميع ، وكانت تعاني من ضائقة اقتصادية خانقة ، فكان الفقراء العزاب يبيتون في الصفة حتى يحصل أحدهم على زوجةٍ وبيتٍ يؤويه ، واستمرت هذه الحالة إلى ما بعد صلح الحديبية ، وقيل إلى ما بعد فتح مكة حيث انتهت الهجرة وانتشر السلام فسمح للمسلمين بالانتقال إلى قبائلهم والإقامة حيث شاؤوا .

ويقال لهؤلاء أين أهل الصفة بعد فتح مكة ؟ وأين هم في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ثم إن النسبة إلى أهل الصفة تكون صُفية وليست صوفية.

وهناك يقول بأن التصوف نسبة إلى الصفاء ، فيقول أبو الفتح البستي:

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا جهلاً وظنوا انه مشتقٌ من الصوف.

ولست أمنح هذا الاسم غير فتىً صافى فصوفي حتى سمي الصوفي.

ورد عليه أبو العلاء المعري بقوله:

صوفيةٌ مارضوا للصوف نسبتهم حتى ادعوا أنهم من طاعةٍ صوفوا .

كما أن النسبة إلى الصفاء تكون صفائية وليست صوفية.

وهناك من يذهب أن الصوفية مأخوذة من الصف الأول ، فهم دائماً في الصف الأول في الطاعة والصلاة والجهاد ، ولكن هذه النسبة غير صحيحة فالنسبة تكون صفية وليست صوفية.

والبعض يقول : الصوفية مأخوذة من أصل يوناني وهو سوفس ، أو من صوفيا وهو رأي أعداء التصوف

من السلفية وحزب التحرير حيث يعتبرون التصوف وافداً من خارج ديار الإسلام.
ولكن لا يوجد أدلة على ارتباط الصوفية بالفلسفة اليونانية ، ولو كانوا كذلك لسموا سوفية وليس صوفية.
والرأي الصحيح: أنهم سموا صوفية نسبةً إلى الصوف لأنه كان شعار الزهاد في مختلف العصور وهو دليلٌ على التقشف، كما أنه لباس الرهبان ، كما أن النسبة اللغوية صحيحة .
ومن الجدير بالذكر أن الصوفية ليست مختصة بالمسلمين بل هي منهج حياة يميل إلى التقشف والزهد ، وقد رأينا ذلك في الأديان الأخرى كالنصرانية في نظام الرهبنة ، وكذلك في الزرادشتية والبوذهية والبرهمية وغيرها من الديانات.

متى ظهر التصوف؟

التصوف كظاهرة دينية اجتماعية لم يظهر إلا في عهد الانفجار الحضاري في زمن الدولة العباسية ، حيث كانت الدولة العباسية أعظم دولة على وجه الأرض وكانت بغداد عاصمة الدنيا ، وكان هارون الرشيد يقول للغيمة شرقي أو غربي فإن خراجك سوف يصلني ، وكان الناس يعيشون في ترفٍ وبذخٍ ، فنشأت طائفةٌ من العلماء والزهاد خرجوا عن هذا كله واختاروا لأنفسهم طريق التزهد كالحسن البصري وإبراهيم بن الأدهم والجنيد ، والحارث المحاسبي ، و الفضيل بن عياض وغيرهم.
على أن ظاهرة التزهد قديمةٌ من زمن الصحابة فنرى الخليفة العظيم عمر بن الخطاب إمام الزاهدين يملك الدنيا ويلبس المرقعة ، وأبو ذر الغفاري لا يجيز للإنسان أن يمتلك أكثر من قوت يومه، وغير هؤلاء من الصحابة والتابعين ، ولكن هذا منهم كان تصرفاتٍ فرديةٍ ولم تكن ظاهرةً إجتماعيةً دينيةً يدعى إليها ويرغب فيها ، كما حصل في الزمن العباسي .
ثم إن التصوف مع الزمن دخله الكثير من البدع والفلسفات من الديانات الأخرى ، فظهر التصوف الفلسفي والشطحي ، والتصوف البدعي ، إلى جانب التصوف السني.
ثم بدأ التصوف ينقسم ويتشظى حتى أصبح أكثر من ألف طريقة.

موقف الفقهاء من التصوف.

انقسم الفقهاء التصوف إلى فريقين:
فريقٌ اعتبر التصوف روح الإسلام ، و فريقٌ حارب التصوف محاربةً شديدةً واعتبره دخيلاً على الإسلام ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل ، وسبب محاربة الإمام **أحمد** له أنه يتكلم عن الوساوس التي تعرض للقلوب وعلاجها ، ويدخل الإنسان في معالجاتٍ نفسيةٍ ومجاهداتٍ مخترعةٍ لا نص عليها من كتابٍ أو سنةٍ ، ولم تكن من هدي السلف الصالح ، لذلك نراه يخاصم **الحارث المحاسبي** وينهى عن اتباعه ، واعتبر الأبحاث في وساوس النفوس من الفضول ومما لا داعي له لعدم اهتمام السلف بذلك .

وممن كره التصوف الإمام **أبو زرعة** الرازي شيخ البخاري ، وذلك لأن الكثير من الزنادقة اندسوا في التصوف ، وكانوا يزعمون أنهم وصلوا إلى مكانةٍ عاليةٍ حتى أسقط الله عنهم التكاليف ، لذلك كان أبو زرعة يعتبر التصوف ضالاً بعيداً عن الإسلام .

وقد سئل **أبو زرعة** مرةً عن كتب التصوف فقال : هي كتب بدعٍ وضلالاتٍ ، عليك بالأثر، وقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة.

و من أسباب نقمة الفقهاء على التصوف دخول بعض أفكار اليهود والنصارى والبراهمة والمجوس وبعض فلسفات اليونان في التصوف ، وفي ذلك يقول **سفيان بن عيينة** : من فسد من علمائنا فهو شبيهٌ باليهود ، ومن فسد من عبادنا فهو شبيهٌ بالنصارى ، وهو يلمز بذلك الصوفية الذين ضلوا عن جادة السنة.

وممن هاجم التصوف **ابن الجوزي** الذي جمع ضلالات الصوفية وفرقها ورد عليها في كتابه تلبيس إبليس.

وممن هاجم التصوف الإمام **ابن تيمية** الذي شنع على التصوف والصوفية ورد عليهم في العديد من الكتب ، ومع ذلك كتب كتابين في التصوف والسلوك يبين فيه المنهج الصحيح في تهذيب النفس ، وهما ضمن موسوعته العلمية مجموع الفتاوى .

ولكن هذه النقمة على التصوف ما لبثت أن زالت مع الأيام مع دخول عددٍ من العلماء والفقهاء في التصوف.

وكان على رأس هؤلاء الإمام **الغزالي** الذي دافع عن التصوف وكتب كتباً في التصوف على رأسها كتاب إحياء علوم الدين ، ومنهاج العابدين ، والأربعين في علوم الدين وغيرها، وكان من العلماء الذين كتبوا في التصوف **ابن أبي الدنيا** وهو من كبار علماء أهل السنة ، والإمام **أبو طالب المكي** .

وجاء بعدهم **عبد القادر الجيلاني**، وهم من علماء وفقهاء أهل السنة ومن رواد التصوف السني.

وممن كتب في التصوف السني **ابن قيم الجوزية** في العديد من الكتب على رأسها مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ، والروح، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، والوابل الصيب من الكلم الطيب ، وغيرها.

وممن ظهر في تاريخ التصوف **محي الدين بن عربي** الذي أدخل في التصوف نظرياتٍ فلسفيةٍ غنوصيةٍ كافرةٍ كالفناء ووحدة الوجود ، ووحدة الأديان يقول قاتله الله :

وما الكلب والخنزير إلا إلاهنا وما الله إلا راهبٌ في كنيسة.

و كذلك الحلول والاتحاد(الله حال في الكون حلول الماء في النبات) ونظرية الولاية حيث يجعل مقام الولاية فوق النبوة والرسالة ، كما حول التصوف إلى طلسمات وألغاز تشبه الشعوذات .

وكتاباته طافحة بهذه الكفريات كالفتوحات المكية وفصوص الحكم وشطرنج العارفين وغيرها.

هذا الرجل كان نقطة تحول في تاريخ التصوف فمن الناس من راح يؤول له ويعتبر أن لكلامه ظاهراً وباطناً ، ولا يجوز أن يقرأه إلا الواصلون من الصوفية .

وكفره الكثير من العلماء منهم الحافظ **البقاعي** حيث كتب فيه كتاباً سماه **(مصرع التصوف)** وكتاب**(تنبيه الغبي** إلى **تكفير ابن عربي)** ، وكتاب **(تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد)** .

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ الذهبي وابن كثير الدمشقي وغيرهم من العلماء .

وممن كفر ابن عربي علامة الأشاعرة **عضد الدين الإيجي** الذي قال عن ابن عربي: إنه كان كذاباً حشاشاً

نعود للحديث عن موقف العلماء والفقهاء والأمة في التصوف ، إذا جئنا لعصرنا الحاضر وجدنا السلفية الوهابية تحارب التصوف حرباً ضروساً وتكفرهم ، وأينما التقى الصوفية مع السلفية وجد الصراع الدامي الذي قسم الأمة الإسلامية إلى شطرين حتى قال أحدهم:

سار فريقٌ للصوفية وذوى الآخر للسلفية.

والإسلام يئن جريحاً يومِ إلي إلي إلي .

وممن يحارب الصوفية والتصوف حزب التحرير الإسلامي الذي يعتبر التصوف دسيةً في الإسلام دسها الحاقدون على الإسلام لتخريبه وتدميره وتخريبه وهو خليطٌ من فلسفاتٍ شرقيةٍ ويونانيةٍ ونصرانيةٍ ، ومن كتبهم كتاب التصوف في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين وهو كتابٌ قويٌ جداً في الرد على التصوف ، ولكن يؤخذ عليه أنه اعتبر كل التصوف فلسفي وهاجم كل الصوفية من الفلسفيين الشطحيين و السنيين المعتدلين ووزنهم بميزانٍ واحدٍ.

وهو يعتبر **الحلاج** وابن **عربي** وابن **سبعين** من ضلال الصوفية في منزلة **الغزالي** ويضعهم كلهم في بوتقةٍ واحدةٍ.

وفي مقابل هؤلاء الكثير من أهل السنة الذين يعتبرون التصوف هو المنهج الحق وهو روح الإسلام ، وهم غالبية علماء الشام ومصر والهند والشمال الإفريقي.

و هذا الفريق من المسلمين بعضهم يؤول للفلاسفة الشطحين ويعتبرون ما يذكرون من شطح كان في حالة غياب وفناء فلا يحاسبون عليه ، وبعضهم يعتبر ما نسب إليهم من شطح مكذوبٌ ومدسوسٌ عليهم، وبعضهم من يتبرأ منهم .

والحق أن التراث الصوفي كالصخور التي تحتوي على عروق الذهب ، فلا بد من تكسير هذه الصخور ، وعرض الذهب المشوب على نار البحث والتمحيص لنستخلص الذهب الصافي .

فلا بد من رد التصوف الشطحي الفلسفي الذي يمثله ابن عربي وابن سبعين والحلاج ، وتهذيب تصوف الغزالي والجنيد والجيلاني ، ونشر التصوف السني الذي يمثله ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين وابن

قدامة المقدسي في منهاج القاصدين ، فتراث التصوف لايمكن التفريط به فهو يمثل الجانب الروحي العاطفي من الإسلام .

و إن كان ثمة اعتراضٌ على التصوف من حيث الاسم فلنسمه الجانب العاطفي من الإسلام كما سماه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، أو نسميه علم السلوك كما سماه ابن تيمية رحمه الله ، أو نسميه علم الأخلاق الظاهرة والباطنة ، أو علم تهذيب القلوب و النفوس ، أو علم النفس الإسلامي ، أو غير ذلك من التسميات.

أقسام التصوف .

ينقسم التصوف إلى ثلاثة أقسام ، التصوف السني والتصوف البدعي والتصوف الفلسفي.

وهذا التقسيم للتصوف هو تقسيم أكاديمي تعليمي ، وليس تقسيماً حدياً ، فلا حدود فاصلة بين كل منها، والمقصود من هذا التقسيم إبراز كل نوعٍ من الأنواع لتتضح معالمه وخصائصه.

أما من حيث الواقع فهذه الأقسام متشابكة ، فتجد من أصحاب التصوف السني من شطح قليلاً باتجاه التصوف الفلسفي ، وتبنى مجموعةً من البدع السلوكية .

فالغزالي في الإحياء تحدث عن الفناء ووحدة الشهود وهي من قضايا التصوف الفلسفي ، وحاول أن يقدم رؤيته الخاصة للفناء ووحدة الشهود ، وهذه الرؤية تقترب كثيراً من الرؤية الفلسفية مع أن الغزالي حاول جاهداً عدم الغرق فيما غرق فيه غيره، كما نجده يؤيد بعض البدع السلوكية كالخلوة الصوفية والرقص والتواجد الصوفي ، ومع أن الغزالي رحمه الله يعد رائد التصوف السني.

وإذا نظرنا في التصوف البدعي وجدنا فيه الكثير من التصوف السني وفيه بدعيات، ونرى بعض أقطابه يتبنى النظريات الفلسفية كالفناء ووحدة الوجود ويحاول تأويلها .

لذلك هناك تداخلٌ بين الأقسام الثلاثة ، وقد حاولت الفصل بينها أكاديمياً.

أولاً : التصوف السني .

وهو علمٌ تعرف به أحوال النفوس محمودها ومذمومها ، وكيفية تحريرها من المذموم وتحليتها بالمحمود ، وكيفية السلوك والسير إلى الله للوصول إلى رضوانه وجنته .

وفيه يقول الشاعر:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

بل التصوف أن تصفو بلا كدرٍ وتتبع الحق والقرآن والدينا

وأن ترى خاشعاً لله ذا وجلٍ على ذنوبك طول الدهر محزونا

فالتصوف ليس في الجوع والحرمان وتعريض النفس للتلف ، وترك التنعم في المأكل والملبس والمسكن، فهو

من سلوك الرهبان الذين قال الله فيهم :(ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم).
وقال: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)
وقد جاء ثلاثة نفرٍ إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم وسألوا عن عبادته فكأنهم استقالوها، فقال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثاني : وأما أنا فأقوم الليل ولا أنام ، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أما والله إني لأتقاكم وأخشاكم له ، أما وإني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).
وقال صلى الله عليه وسلم : (ما صام من صام الأبد) .
وورد أن اثنين من الصحابة عندما عاد الجيش الإسلامي من تبوك مروا بوادٍ خصيبٍ فيه ماءٌ وخضرةٌ ، فحدثتهما نفسهما أن يتخليا للعبادة فيه ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : لقد ارتأينا أن نجلس في هذا الوادي نشرب من مائه ونقتات من حشائشه ونتخلى للعبادة ، فقال: (إنني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية وكن بعثت بالحنيفية السمحة ، لغدوةٌ في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها ، وموقفُ أحدكم في الصف خيرٌ من الدنيا وما فيها ، أو قال خيرٌ من عبادته سبعين سنةً) .
وقال صلى الله عليه وسلم : (لكل نبيٍ رهبانية ، ورهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله) .
قد يستدل البعض بزهد سيدنا عمر رضي الله عنه ، فنقول كان ذلك منهجاً خاصاً به لم يفرضه على غيره ولم يأمر أحداً به ، فقد رأيناه رضي الله عنه يدخل إلى المسجد فيرى المتخلين للعبادة فيعلوهم بالدرة ويقول لهم : قوموا إلى الرزق ، قوموا إلى العمل فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .
فالتصوف السني بعيدٌ عن التقشف وترك الدنيا والرهبة .
التصوف السني هو الأخ الشقيق للفقه ، فلا تصوف من غير فقهٍ ، فأحكام الله لا تعرف من غير الفقه ، فالمتصوف يحتاج إلى العلم بأحكام الشريعة حتى يكون تصوفه سنياً ، أما المتصوف الجاهل بأحكام الشريعة فغارقٌ في الضلالات والشطحات.
كذلك لا فقه من غير تصوفٍ ، فالعلم بالأحكام لا يثمر إذا لم يصحبه روح لهذه الأحكام ، فالعلم بأحكام الصلاة لا تكفي من غير الخشوع .
لذلك نسب إلى الإمام مالك إن صح : (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق).
وقال أحدهم : المستقيمون من السالكين من جمهور السلف كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن الأدهم وأبو سليمان الداراني ومعروف الكرخي و السري السقطي والجنيد وغيرهم من المتقدمين كانوا جميعاً يلتزمزن أوامر الشرع ونواهيه .

فالالتزام بالشرع من أصغر سنة إلى أكبر فريضةٌ واجبٌ على سالك طريق التصوف.
وقال الجنيد : الطرق كلها مسدودةٌ على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم .
ويقول سهل التستري : أصولنا ستةٌ :التمسك بكتاب الله ، الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أكل الحلال ، كف الأذى ، اجتناب الآثام ، أداء الحقوق .
ويقول الصوفية : لو رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء ، فاعرضوا أعماله على الكتاب والسنة فإن خالفها فاضربوا به عرض الحائط.
وقال الغزالي رحمه الله : اعلم أن سالك طريق الله تعالى قليلٌ ، والمدعي فيه كثيرٌ ، ونحن نعرفك على علامتين تجعلهما أمام عينيك: الأولى أن تكون جميع أعماله موزونةٌ بميزان الشرع ، والعلامة الثانية أن يكون حاضر القلب مع الله في كلِ حالٍ حضوراً ضرورياً غير متكلفٍ.
بعد أن عرضنا لتعريف التصوف السني نصل إلى السؤال التالي ما حكم التصوف السني؟
التصوف السني هو روح الشريعة ، فعلم السلوك والأخلاق وتزكية النفس روح الإسلام وفيه يقول الشاعر:
به وصول العبد للخلاص روح العبادة بالاختصاص.
وذاك واجبٌ على المكلف تحصيله يكون بالمعرف.
وقال الغزالي عنه : هو فرض عين ، فلا يخلو أحدٌ من عيبٍ أو مرضٍ إلا الأنبياء .
فتخلية النفس عن مرض الحسد والكبر والعجب والغرور وغيرها وتحليتها بأخلاق الصبر والحب والشكر و الخوف والرجاء وغيرها واجبٌ على كل مكلفٍ .
أما التصوف الفلسفي فكفرٌ بواحٌ وهو الذي يدعو إلى وحدة الوجود وأن الله حالٌ في الكون ، وأن الأديان واحدة.
أما التصوف البدعي الذي أدخل في الإسلام أعمال وممارسات لا دليل عليها من الكتاب والسنة فهو بدعةٌ تتراوح بين البدعة الخفيفة والبدعة الضلالة.

ثانياً : التصوف الفلسفي .

ونقصد بالتصوف الفلسفي التصوف المتأثر بالنظريات الفلسفية للديانات الشرقية أو الغربية، فقد تسللت إلى التصوف الكثير من معتقدات البوذيين والهندوسيين والزرادشتيين ، والفلسفة الغنوصية ، وبعض العقائد اليونانية.
وقد نتج عن ذلك الكثير من المعتقدات والفلسفات الصوفية من ذلك ما يلي:

1-وحدة الشهود .

يقول رسول الله عليه وسلم: (أصدق كلمة قالها شاعرٌ قول لبيد: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلٌ).

وقال الشاعر:

فالكل دون الله إن حققته عدمٌ على التفصيل والإجمال .

وهذا المعنى معنى سنيٌ صحيحٌ وهو أن الله هو الحق واجب الوجود لذاته ، أما جميع الكائنات فتستمد وجودها من الله ، وهذا جزء من التوحيد الحقيقي.

انطلق الصوفية من هذا المبدأ وزادوا عليه مجاهداتٍ وطقوسٍ وخلوات فهم يرون أن المريد يترقى في الذكر والخلوة من حالٍ إلى حالٍ حتى يصل إلى رتبة الشهود وهي رتبة من يرى كل شيء صادراً عن الله تعالى ، وبالتالي يفنى المريد عن الموجودات ويبقى ينظر إلى الله الذي يمد الموجودات بالقوة والبقاء.

وصاحب هذا المقام لا تسمع أذنه إلا ما يرضي الله ، فترى أحدهم يمشي في السوق فيسمع بائعاً ينادي: زعتر بري فيسمعها ، اسع تر بري .

وهذه الحال تترقى بالمريد ليصل إلى الشطح أحياناً ، فيصدر منه كلامٌ لا يجوز شرعاً من شدة هيامه ووجده، وقد يصل إلى حالة الفناء .

وقد تجاوز فلاسفة الصوفية هذا الحد ووقعوا في دعوى وحدة الوجود فزعموا أن الله حالٌ في هذا الكون .

2-<u>الشطح .</u>

ويقصد به أن يتحدث الصوفي في حالة سكره وغلبة الوجد عليه ، وللوصول إلى مرحلة الشطح هناك مراتب تبدأ بالوجد فالغلبة فالسكر فالشطح.

من الشطح قول البسطامي : ما في الجبة إلا الله ، ومنه قوله:(غبت عن الله ثلاثين سنةً ، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما خنست عنه وجدته في كل حالٍ حتى كأنه أنا).

يقول الشيخ الرفاعي رحمه الله عن الشطح: (هذه الكلمات ومثلها من الشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة مثل صاحبها كمثل رجلٍ نام في بيت الخلاء فرأى في منامه أنه جلس على سرير سلطنة ، فلما استيقظ خجل وعرف مكانه ، الله الله في الوقوف عند الحدود، عضوا على سنة السيد العظيم صلى الله عليه وسلم بالنواجذ.

مالي وألفاظ زيدٍ ووهم عمرو.

وجه الشريعة أهدى من سر ذاك وسري).

3- <u>الكشف الصوفي.</u>

وهو أن ينكشف لقلب الصوفي من أنوار الغيوب ما ينال به من المعارف ما لا يناله العقل منها، ووراء مرتبة الكشف مرتبةٌ أخرى أسمى هي مرتبة التجلي ، وهي أن تظهر الذات الإلاهية في عين المظاهر الكونية .

والحقيقة أن إدراك ما وراء العقل عن طريق الكشف محالٌ ، فالمدركات كلها لا يتم إدراكها وتصورها إلا بالعقل ، وإذا فقد الإنسان العقل انعدم إدراكه لأي شيءٍ على حقيقته ، وصار يهذي في كلامه ويقول ما لا يعقل .

كما أن ظهور الذات الإلاهية أو التجلي مدرجةٌ لوحدة الوجود ، وهي من التخيلات الباطلة التي يلقيها الشيطان في قلوب طالبي الأسرار وكشف الحجاب ، إذ رؤية الحق سبحانه والتلقي عنه بدون واسطةٍ ممنوعٌ شرعاً ، فلما اهتم الصوفية بذلك وطلبوه في الخلوات أتاهم الشيطان بتخيلات وتصورات فبدت لهم الكائنات ، وأن الله تعالى قد ظهر فيها فلا يرون إلا الله تعالى بزعمهم ، حتى قال الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فنحن روحان حلتا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهذا الجيلي وهو من كبارهم يقول :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجو فضله أو أخشاه.

وقد حزت أنواع الكمال وأنني جمال جلال الكل ما أنا إلا هو

وإني رب للأنام وسيد جميع الورى اسم وذاتي مسماه.

4- علم الحقيقة .

لقد ترقى الصوفية في قضية الكشف عندهم حتى زعموا أن الصوفي يكشف له معاني في القرآن والحديث لا يعلمها علماء الشريعة الذين يسمونهم علماء الظاهر والقراطيس والآثار التي ينقلونها عن الموتى.

أما أهل الحقيقة فهم ينقلون معلوماتهم عن الرسول في المنام أو في اليقظة فهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعطيهم هذه العلوم ، وأحياناً يلهمهم الله بزعمهم هذه العلوم الكشفية اللدنية .

ويزعمون أن الخضر يمدهم أيضاً بمعلوماتٍ لا يعلمها علماء الظاهر.

وقد وسع الصوفية دائرة كشفهم فزعموا أنهم يعلمون أسرار الحروف المقطعة من القرآن بطريق الكشف ، وقصص الأنبياء يرونها على حقيقتها ويجتمعون بالأنبياء ويسألونهم عن تفاصيل قصصهم وما كان منهم .

5- الفناء .

وحقيقته : أن المريد إذا داوم على الذكر حصلت له طمأنينة القلب ، ثم يعتريه الذهول ثم السكر

بحب المذكور ، ثم الفناء عن الأكوان بمعنى أنه لا يرى شيئاً منها بعينيه ، ثم يفنى عن الفناء حتى ينمحق الغير والغيرية وتهدم جميع الرسوم والأطلال ، فلا يبقى إلا معاينة الحق في الحق للحق وبالحق.

فالفناء هو اضمحلال الكائنات مع وجودها ، والغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم ، وهو أن يكون الولي قد صار في حالٍ لا يرى فيها شيئاً إلا الله تعالى كما لا يشاهد في النهار الكوكب إذا طلعت الشمس.

6-الحلول والاتحاد.

ويقصدون به أن الله حل في الكون حلول الماء في العود سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ويزعم الصوفية أن الله يحل في الأولياء عندما يفنون عن أنفسهم.

من ذلك ما يقوله أبو يزيد البسطامي: (رفعني مرةً فأقامني بين يديه ، وقال لي: يا أبا يزيد ، إن خلقي يحبون أن يروك ، فقلت: زيني بوحدانيتك ، وألبسني أنانيتك ، وارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هنا).

7-وحدة الوجود .

ويعنون بذلك أن كل شيء إنما هو الله وان الله هو الذي في الكون وحده وليس هناك شيءٌ معه.

وما هذه الظواهر التي نراها إلا مظاهر لحقيقةٍ واحدةٍ ، هي الحقيقة الإلاهية ، هذه الحقيقة التي تنوعت وجوداتها ومظاهرها في هذا الكون المشاهد، وليس هذا الكون إلا الله تعالى عن ذلك سبحانه.

وأشهر من نادى بهذه العقيدة أبو منصور الحلاج ، ومحي الدين بن عربي وذلك في كتبه العديدة وعلى رأسها فصوص الحكم ، حيث يزعم أن قوم نوح بعبادتهم الأصنام لم يعبدوا إلا الله ، ويزعم أن إغراقهم كان في بحار العلم الإلاهي.

ويصحح قول فرعون : أنا ربكم الأعلى باعتبار تجلي الله على فرعون.

ويزعم أن فرعون كان أعلم من موسى بالحق لأنه علم حقيقة الحق.

وزعم أن عتب موسى على هارون ليس في تركه الناس ليعبدوا العجل بل في جهله أنهم لم يعبدوا إلا الله المتجلي في العجل.

وكان تحريق موسى للعجل كي لا يظن انحصار الله في صورة واحدة.

يقول ابن عربي :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ ودِيرٍ لراهب.

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبة طائفٍ وألواح توراةٍ ومصحف قرآن.

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني و إيماني.

ويقول أيضاً :

عقد البرية في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه.

ومن أحب التوسع في بيان هذه العقيدة الكفرية فعليه بكتاب فصوص الحكم للشيخ الأكفر ابن عربي.

8-وحدة الأديان .

هناك جماعة تدعو إلى تصوفٍ عالميٍ يتجاوز الأديان وتدعو إلى تشكيل هيئةٍ واتحادٍ للصوفية في العالم مسلمين و مسيحيين وبوذيين وهندوس وغيرهم ، وتدعو إلى تجميع جميع الأيان تحت مظلة التصوف ، هذه الجماعة يرأسها رجلٌ عميلٌ اسمه عناية الله خان ، ولها مجلةٌ فصليةٌ تصدر باسمها .

وهذا الفكر قديمٌ أول من دعا إليها محي الدين بن عربي وغيره من شذاذ التصوف الفلسفي .

يقول ابن عربي :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لراهب.

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبة طائفٍ وألواح توراةٍ ومصحف قرآن.

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني و إيماني .

وهذا توجهٌ كفريٌ يريد نقض الإسلام من دعائمه وإقامة صرح التصوف على أنقاضه.

ثالثاً : التصوف البدعي .

وهو التصوف الذي دخله الكثير من البدع التي لا أصل لها ، وسأتناول بعض قضايا التصوف البدعي وذلك في نقاط:

1- شيخ الطريقة.

الشيخ والمريد من القضايا المهمة في التصوف ، يقول أصحاب التصوف : لا بد للمريد في هذا الطريق من صحبة شيخٍ محققٍ ، ومرشدٍ انتهى من تأديب نفسه وتخلص من هواه فيسلم نفسه إليه ويلزم طاعته وما يأمره به من غير اعتراضٍ ولا ترددٍ فمن لم يكن له شيخٌ فالشيطان شيخه.

فالإنسان لا يصل إلى الله من غير الشيخ المربي ويقولون : لولا المربي ما عرفت ربي .

ويقول الصوفية أيضاً : لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ رجال التصوف إلا بالرياضة مع شيخٍ وإمام ، ومن لم يأخذ آدابه من آمرٍ ناهٍ يريه عيوبه ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في صحيح المعاملات .

ويقولون: لا بد من اتباع طريق شيخٍ عارفٍ قد سلك طريق الله على يد شيخٍ على يد شيخٍ إلى أبي بكر الصديق أو علي بن أبي طالب **بحسب الطريقة** إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون ، وهذه السلسلة منقطعة وصلوها بأوهامهم وخيالاتهم .

الشيخ المربي هذا انتهى من تهذيب نفسه وتفرغ لتهذيب الناس ، ولا بد للمريد من أن يوقره ظاهراً وباطناً ، ولا يعترض عليه لأن الاعتراض عليه حرامٌ ويردد الصوفية عبارة : (لا تعترض فتنطرد) أي أن الاعتراض على الشيخ سببٌ للطرد من باب الله.

وهناك قضية تتعلق بالشيخ وهي **البيعة** للشيخ على أمورٍ معينةٍ وأذكارٍ محددةٍ ، وتسمى الوظيفة لمدةٍ معينةٍ ، ثم بعد فترة يزيد الشيخ في الأوراد وفي المدة ، ومع الوقت يعطي الشيخ المريد أوراد سريةً لترقيه إلى مراتب عالية .

ومما يعجب له منع الكثير من الشيوخ تلامذتهم من أن يكون وردهم من القرآن ، ويزعمون أن الورد القرآني ثقيل وله مرحلةٌ متقدمةٌ في الطريقة .

وقد تجاوز الصوفية هذا الحد بقولهم : (خطأ الشيخ خيرٌ من صواب المريد)، وقالوا: لا بد للمريد من أن يؤول كل ما يصدر عن الشيخ من مخالفاتٍ للشريعة ، لأن الشيخ لا يعارض الشريعة إلا ولديه تأويلٌ.

كما أنه لا يجوز للمريد ترك شيخه والانتقال إلى غيره من الصالحين ، كما أنه لا يجوز له أن يزور الصالحين إلا بإذن شيخه .

ولا يجوز للمريد أن يحضر مجلس غير شيخه ولا أن يستمع ممن سواه حتى يتم سقيه من ماء سر شيخه .

ومن آداب المريد : ألا يقعد وشيخه واقفٌ ، ولا ينام إلا بإذن شيخه .

ولا يتكلم بحضرة شيخه ولو باسطه الشيخ ، ولا يجلس على سجادة الشيخ ولا يسبح بمسبحته.

ولا يفعل فعلاً من أموره المهمة إلا بإذن الشيخ.

وعلى الشيخ إذا وجد الشيخ المربي أن يترك عقله ودينه ومروءته فبصيرة الشيخ مقدمةٌ وخطؤه خيرٌ من صواب المريد.

يقول الشاعر الصوفي:

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخ حقٍ في الحقيقة بارعُ

فقر في رضاه واتبع لرضائه ودع كل ما من قبل كنت تصانع

فكن معه كالميت عند مغسلٍ يقلب ما قد شاء وهو يطاوع.

لذلك يقول الصوفية: حال المريد مع شيخه كحال الميت بين يدي مغسله.
ويستدل الصوفية على شرعية شيخ التربية أن الصحابة احتاجوا إلى مربٍ وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتابعون احتاجو لمربين وهم الصحابة ، وهكذا ، والإنسان لا يمكن أن يعيش من غير شيخٍ.
والحقيقة أن هناك نوعان من الشيوخ: شيخ تعليمٍ وشيخ تربيةٍ.
وشيخ التعليم هو الذي يعلم الناس شرع الله والحلال والحرام ، وهذا لا غنى لمسلمٍ عنه فقد قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، فشيخ التعليم يري الناس طريق الله ويبصرهم في دينه معتمداً على القرآن والسنة، ويبين للناس ما يزكون بهم أنفسهم ، ويري الناس طريق الجنة وطريق النار، ولا يتدخل في حياتهم الشخصية.
فلا داعي لما يسمى الشيخ المربي الذي يتابع المريد ويتدخل في أموره الشخصية حتى أنه يجب على المريد أن يكاشفه بأسراره ، ويزعم الصوفية أن من لا يبوح للشيخ بأسراره يكشفه الشيخ فالله أعطى الشيخ القدرة على الاطلاع على قلوب المريدين وسرائرهم.
وهو نوعٌ من السيطرة النفسية التي يفرضها الصوفية على مريديهم ليبقوا تحت سيطرتهم ويلبوا لهم رغباتهم ، ومن المعلوم بداهةً مخالفة ذلك لمنهج أهل السنة والجماعة ، وفيه إغراقٌ في البدع والضلالات واستلابٌ لشخصية المسلم ، وتقييدٌ لإرادته.
وسبب انتشار هذه الظاهرة هو غلبة الأمية على الناس الذين يتأثرون بالقصص والحكايات وخصوصاً قصص الأولياء والكرامات الحسية ، وأقصد بذلك أمية الفكر ، وليست أمية الكتابة والقراءة فقد تجد طبيباً او مهندساً أو دكتور في الجيولوجيا يلجأ إلى شيخه المربي ويفضي إليه بأسراره ، ويطلب من الشيخ أن يكتب له حجاباً ويبيت له استخارةً.
ومما يجدر التنبيه إليه أن هؤلاء الشيوخ ليسوا كالسابقين في الزهد والتقوى والانقطاع عن الدنيا وعدم التعلق بها ، فهؤلاء شيوخ كروش وقروش وفروش وعروش وليسوا أصحاب رياضاتٍ ومجاهداتٍ نفسيةٍ كما كان أصحاب التصوف القدماء.
فكرة شيخ الطريقة هذه جعلت المسلم يتعلق بالأشخاص بدلاً من أن يتعلق بالأفكار والمبادئ ، وأدى ارتباط المريدين بالشيوخ إلى ارتخاء قبضة السنة النبوية عن حلقة المريدين لأن ذلك النظام فرض عليهم الاقتداء بالشيخ مهما كانت النتائج ، فالبركة لا يمكن إحرازها إلا باتباع تعليمات الشيخ، وكذلك الفوز في الآخرة لا يكون إلا بشفاعة الشيخ، وطغت خدمة الشيخ على العبادة والتزكية .

2- الدولة الإلاهية .

وهي عبارة عن مجموعة هرمية تقسم على الشكل التالي قمة هرمها القطب الأعظم أو قطب الغوث ، ثم يأتي تحته بمرتبةٍ أربعة عمداء، وتحتهم بمرتبةٍ سبعة أمناء ، وتحتهم بمرتبة أربعون بدلاً وتحتهم بمرتبة ثلاثمئة نقيب ، وتحتهم بمرتبةٍ الأولياء ، وتحتهم المريدون .

فالمتصوف يتدرج في هذه المراتب من الأدنى إلى الأعلى ، وكلما مات رجلٌ من طبقةٍ خلفه رجلٌ من الطبقة التي تليها، ليبقى هذا العدد ثابتاً من غير نقصانٍ .

وهذه الدولة الإلاهية أوكل الله إليها التحكم بالكون فبهم نمطر ونرزق ، وبهم يخرج الزرع فهم عماد الكون وكل جماعة صوفية تعتبر شيخها قطب الغوث.

و الحقيقة كما يقول ابن تيمية رحمه الله أن كل ما يروى عن الأولياء والأبدال والنجباء والأقطاب وعددهم ليس فيه حديثٌ صحيحٌ ولم يرد عن السلف شيءٌ من هذه الألفاظ البدعية ، إلا لفظ الأبدال فقد ورد أن عددهم أربعون وأنهم في الشام ، ولكن هذا الحديث معضلٌ سقط من سنده رجلان أي أنه واهٍ لا قيمة لهم.

وهذه الفكرة جاءت من الباطنية والشيعة الإسماعيلية التي كان لها سلك تنظيمي يتألف من مقامات مثل الإمام وداعي الدعاة والنقباء و الأقطاب والتوابع إلى غير ذلك من المراتب .

وقد تأثر الصوفية بذلك كما تأثروا بالعديد من الفلسفات والديانات الشرقية وما تحتويه من أهراماتٍ لآلهتها .

3- الولاية والولي .

وهذا المصطلح لم يذكر في القرآن الكريم إلا في مرةٍ واحدةٍ مقيداً بصفتين، وذلك في قوله تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون).

فالولاية لها شرطان : الإيمان والتقوى .

وورد في صحيح البخاري قول النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : (من عادي لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة).

والحقيقة أن هذا المصطلح قليل الذكر ويقابله مصطلح **الرجل الصالح** وهو كثير الذكر في القرآن والسنة ، ولكن الفكر الصوفي ضخم مصطلح الولي وأخرجه عن إطاره.

الولي في القرآن والسنة هو المؤمن التقي وليس ذلك خاصاً بطبقةٍ مميزةٍ من الناس ، فكل من آمن بالله واتقاه كان مؤهلاً للولاية .

ولكن الولي عند الصوفية غير ذلك ، فهو مرتبة بين المؤمن والنبي ، فالأولياء فوق الناس ولا يتميز

عنهم الأنبياء إلا بالوحي، الأولياء يلهمون ويؤيدون بالكرمات وإلهاماتهم صائبة ومنامات الأولياء محققة كالأنبياء ، والأنبياء يوحى إليهم ويؤيدون بالمعجزات.

فالولي في الفكر الصوفي هو نبي إلا قليلاً.

وذهب التصوف الفلسفي إلى تفضيل الولي على النبي والرسول، لأن الولي يتصل بالله من غير واسطةٍ وهو غير متصلٍ بالناس، أما النبي فينقص عنه بأنه يحتاج إلى واسطة وهي الوحي ، وأما الرسول فينقص عن الولي من جهتين احتياجه لواسطة وهي الوحي واتصاله بالناس.

يقول محي الدين بن عربي : (خضت بحراً وقف الأنبياء في ساحله)، وقد أول له الصوفية قوله بأنه يقصد بحر الذنوب.

ويقول ابن عربي أيضاً :

مقام النبوة في برزخٍ فويق الرسول ودون الولي.

وقد حاول الصوفية ومنهم صاحب الموسوعة اليوسفية تأويل ذلك بأن المقصود بذلك ولاية النبي وليست الولاية مطلقاً ، فولاية النبي أعلى من نبوته ، وهذا الكلام ليس عليه دليلٌ ولم يخض فيه أحدٌ من السلف الصالح.

الولي عند الصوفية لا يسأل عما يفعل لأنه ملهمٌ من الله ، وقد أوكل إليه الله شؤون الخلائق وكلفه بحل معضلاتهم ، وعلاج أمراضهم ومشاكلهم .

هذا الولي في حياته خيرٌ للناس بما يجري الله على يديه من الكرامات والخوارق ، وفي مماته خيرٌ للناس فقبره محجٌ للصوفية يقصدونه لقضاء حوائجهم وللتبرك .

فالولي يقضي حاجات الناس في حياته، وبعد موته تقضي روحه حاجات الناس.

وقد ذهب صاحب الموسوعة اليوسفية (يوسف خطار محمد) إلى أن الله كما أنه سخر ملائكة لقضاء حاجات الناس ولنصرة المجاهدين ، فهل يمتنع عليه أن يغيثهم بأرواح الأولياء والأبدال والصالحين؟ ، ويقول ما الفرق بين الملك وروح النبي أو روح الولي؟؟.

والرد البسيط عليه أن يقال : ثبت بالقرآن والسنة أن الله يغيث عباده ويؤيدهم بالملائكة ، فهل لديك أدنى دليلٍ على أن الله يؤيد الصوفية بأرواح الأنبياء والأولياء ، وهل لديك خبرٌ عن الصحابة أو التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم يثبت دعواك؟؟؟؟.

4- <u>كرامات الأولياء.</u>

الكرامة أمرٌ خارجٌ عن العادة يجريها الله على يد الرجل الصالح ، وقد ورد ذلك في القرآن في قصة عزير وأصحاب الكهف وهم ليسوا بأنبياء ، وكذلك كرامات مريم بنت عمران (كلما دخل عليها زكريا

المحراب وجد عندها رزقاً)، ومن ذلك أيضاً كرامات الصالح صاحب موسى المذكورة في سورة الكهف ، وهذه الكرامات المنصوصة يجب الاعتقاد والتصديق بها .

وهناك كرامات جرت للصحابة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده ، والكرامة ممكنةٌ عقلاً وشرعاً ، ولكن للكرامة عند الصوفية مفهومٌ آخر ، فهي ملازمة للولي ، والولي يقوم بكرامات لم تقع لنبي ولا رسول .

وقد ضخم مفهوم الكرامة وكتبت العشرات من الكتب لكرامة الشيخ فلان أو الشيخ علان ، و المقصود من ذلك تضخيم الشخصيات الصوفية وإيجاد هامشٍ كبيرٍ من الوهم والخرافة في عقول الناس .

يقول الصوفية: ما كان معجزةً لنبي جاز أن يكون كرامةً لولي ، فكما أن عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ،كذلك يجوز أن يجري ذلك على أيدي الأولياء.

فالشيخ صاحب الكرامات عنده قدرة لقضاء حوائج الناس حياً وميتاً ، ومن هنا جاءت قضية الحج إلى القبور والاستغاثة بها وتقديم النذور لها ، وكل ذلك من الشركيات وعودة إلى جاهليةٍ تشبه الجاهلية الأولى.

وقد تفنن كتاب كتب الكرامات في الكرامات وخلطوا بها تصرفات المشعوذين والسحرة ، فتقرأ في كتاب الإبريز في كرامات الشيخ عبد العزيز طاماتٍ، من ذلك أكله الزجاج والتهامه لخاروفٍ كاملٍ والشيخ يبيت في غرفة مريده ويراقبه وهو يعاشر زوجته.

وكتاب كرامات الشيخ أحمد الحارون حيث يذكرون أنه يتكلم بحزام سرواله ويبول في الحافلة فلا تحتاج إلى بترول.

ومن أحب الاطلاع على طامات هؤلاء الصوفية في موضوع الكرامات فليقرأ كتاب ركائز الإيمان بين العقل والقلب للشيخ محمد الغزالي فقد نقل رحمه الله الكثير من هذه الشطحات.

وكذلك كتاب طبقات الأولياء لعبد الوهاب الشعراني وقد أسف في ذلك إسفافاً كبيراً .

5- <u>التوسل والاستغاثة والمدد.</u>

التوسل وهو طلب الوسيلة لإجابة الدعاء وطلب الحاجات .

وقد ورد أن عمر رضي الله عنه في الاستسقاء قال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك برسول الله صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، واليوم نتوسل إليك بعمه العباس ، قم ياعباس فادعو، فدعا العباس فأنزل الله المطر).

هذا الحديث عمدة القائلين بالتوسل بالرسول والصحابة والصالحين والألياء والقبور و.....

والحق أن هذا الحديث يفيد التوسل بالدعاء فعمر رضي الله عنه ذكر أنهم كانوا يتوسلون برسول الله أي بدعائه ، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوسلوا بدعاء العباس رضي الله عنه.
والتوسل بدعاء الصالحين جائزٌ.

ولكن التوسل عند الصوفية أخذ منحى آخر فالتوسل عندهم يكون بالرسول والصحابة والأولياء والقبور ، ثم انتقلوا من التوسل إلى الاستغاثة بالمقبورين، فنجدهم يطلبون الغوث والمدد من المقبورين ، ويقدمون النذر للأولياء ، وهذا ضربٌ من ضروب الشرك.

وقد أصبح للصوفية مقامات يزورونها ويقدمون لهم القرابين كقبر الشيخ محي الدين والشيخ رسلان والشيخ الصياد في بلاد الشام.

وحال هؤلاء كحال المشركين في الجاهلية الذين كانوا يقدمون القرابين للأصنام ويقولون: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .

و قد دافع صاحب الموسوعة اليوسفية عن تصرفات هؤلاء ونفى عنها الشرك ، فيذكر أن الله بنى كونه على نظام أسباب ومسببات ، والله قد جعل هؤلاء الأولياء أسباباً لقضاء الحاجات ، فإن قلت من اتخذ هذا السبب مشركٌ كان لزاماً عليك أن تعتبر كل من أخذ بالأسباب مشركاً ، فمن يقول : للطبيب اشفيني مشركٌ ، فالله كما جعل الطبيب سبباً للشفاء، جعل الاستغاثة والتوسل بروح الولي سبباً للشفاء، وهذا قمة في السخافة والافتراء على الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته) فهذا تقولٌ على الله من غير دليلٍ ، وهذا الفكر أقعد المسلمين عن واجباتهم فكلما عن لهم شيْ استغاثوا بأوليائهم.

فعندما غزا الروس أوزبكستان قيل للصوفية : انهضوا وردوا عن بلدكم أعداء الله الروس ما كان منهم إلا أن لجؤوا لقبر الإمام البخاري يستغيثونه لدفع الروس الكفرة.

وعندما جاء نابليون إلى مصر لجؤوا إلى قبر الحسين ليطرد الفرنسيين.

و يرد على هؤلاء جميعاً أعطونا دليلاً واحداً أن الله جعل روح فلان أو فلاناً سبباً للشفاء أو النصر أو أن تحمل المرأة العقيم .

يردون على هذا السؤال: بأن الدليل هو التجربة والمشاهدة ، فيقولون لك أنت جرب وسترى النتيجة، وهذا قريبٌ من قول المبشرين النصارى: أنت فقط أعط يسوع الفرصة ليقضي لك حوائجك .

سمعت هذا من القس سواجرت يقول : فقط جرب .

لا يريدون كتاب ولا سنة فقط جرب كما جرب فلان الخرفان ، أو علان الجربان وستجد النتيجة ، لقد جعلوا دين الله هزأة .

وكم سمعت من مشايخهم من يقول : أنا ما فتح علي العلم إلا عندما استغثت بقبر الولي فلان أو فلان ، و هذا قمة الجهل ، وأقول لهؤلاء: من قيمك و أعطاك ما تزعمه من مرتبةٍ علميةٍ .
الذين قيموه هم مشايخه من جهلة الصوفية الذين ضلوا وأضلوا الناس في ظل غياب العلماء العاملين الذين شردهم الطغاة في البلاد وجعلوا هؤلاء الأئمة الضلال يتكلمون باسم دين الله.

6- التبرك.

هو طلب البركة ، والبركة الزيادة.
التبرك يكون بالأنبياء والأولياء أو بقبورهم ، فالصوفية يرون أن التمسح بالقبور وتمريغ الوجه في تربتها، أو التبرك بثوب الشيخ أو كأسه أو منشفته أو شعره ، يعتقدون أن لذلك أثراً ، فهي تشفي المرضى ، وتبارك الرزق ، وتوفق الإنسان في كل أمور حياته .
وكذلك للتمسح بقبور الأولياء ووضع عقد وأقفال على القبور أو الشموع يظنون أن كل ذلك له أثر في تيسير حياة فاعليها.

7- السماع .

ويقصد به الشعر الصوفي الذي يلحن ويغنى في مجالس الذكر الصوفي ، وهو يهيج الوجد والتفاعلات النفسية ، وتبدأ الدموع بالنزول ، والسماع يثير الوجد والهيام والشوق لله عز وجل ، وهذا الحال يترقى بالمستمع ليصل إلى مرحلة لا يستطيع التحكم بنفسه فقد يصرخ وقد يقفز وقد يخرج عن الحكم بنفسه.
وقد أفرد الغزالي لذلك كتاباً في الإحياء، وكثرة السماع يصل بالإنسان حسب زعم الصوفية إلى الفناء ووحدة الشهود.
فترى أحدهم يمشي في السوق فيسمع من ينادي (زعتر بري) فيسمعها(اسع تر بري) فيبكي ويتواجد.
وآخر يسمع امرأة تنادي حبيبها وتقول له: (كل يومٍ تتبدل غير هذا بك أحسن).
ومما يؤسف له أن الغزالي في الإحياء يذكر أن السماع الصوفي يفضل على الاستماع للقرآن في إثارة الوجد واستجلاب الأحوال وذلك من ثمانية أوجه ، من ذلك أن القرآن يتنقل من حال لحال من أحكام لوعد لوعيد لقصة ، فالسماع للقرآن لا يوصل إلى الوجد والأحوال ، بينما الغناء الصوفي يعزف على وترٍ واحدٍ ويترقى بمواجيد الإنسان إلى درجةٍ يفنى فيها عن ذاته.
والحقيقة أن كل الطرق الصوفية تعتمد على السماع في مجالس الذكر لإثارة المواجيد.
والسماع موجودٌ في كل الديانات كالنصرانية والبوذية وغيرها ، كذلك في الديانات الإفريقية.

فتجد في بعض الديانات قرعاً للطبول بشكلٍ منتظمٍ مع ترددٍ لكلماتٍ وغناءٍ ورقصاتٍ على الإيقاع.
و التواجد فطريٌ غريزيٌ في الإنسان منذ كان صغيراً.
وقد استغل الصوفية وغيرهم هذا الأمر الغريزي في الإنسان وهيجوه من خلال السماع بحجة الترقي بالروح والتقرب إلى الله.
يقال للصوفية: إن الله لا يعبد إلا بما شرع ، هل وردنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس ويغني أحدهم له فيقوم الصحابة ليتراقصوا ويتواجدوا؟؟؟؟
كما أن هذا يقدم الإسلام بصورة مزرية ، كما أنه متسربٌ إلى التصوف من الديانات الأخرى.

8- الحضرة .

وهي نوعٌ من مجالس الذكر الصوفي الذي يرافقه السماع والرقص ، وسبب تسميتها بالحضرة أنهم يزعمون أن روح النبي وأرواح الأولياء تحضرها معهم ، وفي هذه الحضرة يذكرون اسم الله ثم يسرعون في ذكر اسم الله حتى يشوهونه ويتحول إلى همهماتٍ وكلامٍ غير مفهومٍ.
ويختلف السماع وطريقة الرقص والتواجد من طريقة إلى أخرى : فالمولوية يكون الرقص من خلال الدوران المنتظم ، والقادرية من خلال القفرات القوية، والشاذلية بشبك الأيادي مع قفزات صغيرة والانحناء إلى الأمام ، وفي الرفاعية تستخدم الموسيقا والطبول ويرافق ذلك الكثير من أعمال السحر والشعوذة.
ويستدلون على جواز هذا الرقص بأحاديث لا أصل لها ، منها ما ينسبوه للنبي صلى الله عليه وسلم من قوله لأبي بكرٍ رضي الله عنه: إن الله قد رضي عنك فهل رضيت عنه ، فحجل، أي رقص.
ويزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة رضي الله عنه : أنت أخونا ومولانا، فحجل.
ويستدلون بما ورد في صحيح البخاري عن رقص الحبشة في المسجد بحرابهم .
يقول العز بن عبد السلام : الرقص بدعةٌ لا يتعاطاها إلا ناقص العقل ولا يصلح إلا للنساء.
ونقل عن الإمام مالك في المدونة قوله : أكره الإجازة على تعليم الشعر والنوح، قال القاضي عياض: معناه نوح الصوفية وإنشادهم وبكاؤهم فمن اعتقد ذلك فهو ضالٌ مضلٌ.
وعندما ذكر للإمام مالك ما يفعله الصوفية من الرقص في الذكر: أصبيانٌ هم؟ ، أمجانينٌ هم ؟ ما سمعنا أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا.
وقال ابن قيم الجوزية: والله تعالى لم يشرع التصفيق للرجال عند الحاجة في الصلاة بل أمروا بالعدول عنه إلى التسبيح لئلا يتشبهوا بالنساء، فكيف إذا فعلوه لا لحاجةٍ وقرنوا به أنواعاً من

المعاصي قولاً وفعلاً ؟ يقصد بالمعاصي البدع.

ويقول ابن قدامة رحمه الله: ما نقل عن النبي ولا عن أحدٍ من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة ولا سهر ليلةً في سماعٍ يتقرب به إلى الله تعالى –فيما يزعمون– ولا قال: من رقص فله من الأجر كذا وكذا ، ولا قال: الغناء ينبت الإيمان في القلب ، ولا استمع إلى الشبابة ، أو جعل في سماعها أو استعمالها أجراً .

ويقول أيضاً : لا يتقرب إلى الله تعالى بمعصيةٍ .

ويقول ابن الجوزي عن هذا الرقص: وهو يزري بالعقل ويخرج عن سمت الحلم والآداب، أقبح بذي لحيةٍ يرقص، فكيف إذا كان ذو شيبةٍ يرقص على إيقاع الألحان والقضبان.

ويقول أبو العلاء المعري:

أرى جيل التصوف شر جيلٍ فقل لهمو وأهون بالحلول

أقال الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي.

8- <u>الذكر الجماعي.</u>

ويأخذ الذكر الجماعي أشكالاً متعددة بحسب الطريقة الصوفية ، فمنه السري ومنه الجهري، ومنه في حالة الجلوس وبعضه في حالة القيام ، ولم يفعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم و لا الصحابة ولا التابعون .

وغالباً ما يكون الذكر الأساسي باسم الله المفرد ، فهم يرددون اسم الله مئات المرات ، وبعضهم يسرع بذكر اسم الله ليصبح (هو) ويزعم بعض الصوفية أن (هو) من أسماء الله الحسنى .

ولم يرد ذكر الله باللفظ المفرد من غير إضافة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا في عمل السلف الصالح، ويستدل الصوفية على ذكر الله باللفظ المفرد بقوله تعالى: (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) ، ولكن هذا الإستدلال غير صحيح فما ذكروه هو جوابٌ لاستفهام وليس أمراً إنشائياً ، فبداية الآية هي: (قل من نزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آبؤكم؟) ثم يأتي الجواب : (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)

ويستدلون بحديث : (لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول :الله الله) والمقصود من الحديث من يوحد الله وليس فيه دليلاً على مدعاهم.

9- <u>المولد.</u>

أول من ابتدع المولد الشيعة العبيدية الفاطمية ، ثم تبناه الصوفية وشاع بين المسلمين باختلاف طوائفهم ، وعند الشيعة عدة أعيادٍ للمولد ، مولد الرسول ومولد علي ومولد فاطمة ومولد الحسن

ومولد الحسين وموالد الأئمة الإثني عشر .

الصوفية اخترعوا كذلك مولد الرفاعي ومولد الشاذلي ومولد الصياد وغيرها كثيرٌ جداً.

و عند المولد يذهب الصوفية إلى قبر الولي ويذبحون الذبائح ويقربون القرابين وينشدون ويرقصون حول القبور ويقومون بالذكر والحضرة .

10- الأوراد.

وقد اخترع الصوفية الكثير من الأوراد ، وهي مجموعةٌ من الأذكار المخترعة والصلوات على النبي والأدعية المسجوعة ، وتختلف هذه الأوراد باختلاف الطرق الصوفية فلكل طريقةٍ أورادها الخاصة بها وتدعي أن أورادها أفضل .

ويجاز بها المريد إجازةً يزعمون اتصالها سنداً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي لاتكاد تتصل إلى مؤسس الطريقة .

وفي بعض هذه الأوراد بعض العبارات الشركية ، وبعضها تحتوي على ألغاز وطلصمات مثل الصلاة الخاصة لابن عربي (اللهم صلي على الطلسم المطلسم والطوطم المطوطم .....).

وبعضها يحتوي على أدعيةٍ جيدةٍ وإن لم تكن واردةً عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

11-المسبحة .

وهي عبارة عن أداة ووسيلة لحساب عدد التسبيحات أو التهليلات وليس فيها كبير بأسٍ ، مع العلم أن المسبحة موجودة في كل الديانات من نصرانيةٍ وبوذيةٍ وهندوسيةٍ وغيرها ، وقد كتب أحد السلفية كتاباً في المسبحة ورجع فيها إلى أصولها القديمة ما قبل الإسلام ويذكر كيف تسللت للمسلمين ، ويذهب بعد ذلك إلى أنها من البدعة الضلالة .

والصوفية يقدسون المسبحة ويعدونها سلاح الصوفي ، فالصوفي من غير مسبحة كالجندي من غير سلاح.

ويستدلون على مشروعيتها بحديث تسبيح الحصى في يد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك دليلاً على مدعاهم لأنه كان معجزةً للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرد أن الصحابة كانوا يستخدمون الحصى في عد الذكر.

شخصيات صوفية

من أبرز الشخصيات الصوفية في التاريخ ، الإمام الحسن البصري رحمه الله، وشيخ الطريق وإمام أهل الحقيقة الجنيد بن محمد ، والإمام الغزالي وهو من منظري التصوف الكبار، ويمكن أن نعد ابن قيم الجوزية من رواد التصوف السني .

وهناك شخصيات صوفية عليها الكثير من الإشكاليات منها:

أبو منصور الحلاج : وهو مجهول الاسم والنسب والبلد ، وكان يدعو إلى مذهب الحلول والاتحاد، وكان يقول عن نفسه : أنا الحق وأنا الله، وكتب إلى أحد أصحابه: من الرحمن الرحيم إلى فلان.

وقد أخذ إلى المحكمة زمن الخليفة المقتدر العباسي وحاكمه القاضي أبو عمر والقاضي أبو جعفر البهلول وجماعة من الفقهاء فحكموا بقتله ، فقطع رأسه وقطعت أطرافه ووزعت على أطراف نهر دجلة.

وهناك من شيوخ الصوفية من يقدسونه حتى اليوم ويزعمون أنه قتل مظلوماً وكلامه كان في حالة هيام وفناء.

محي الدين بن عربي: أصله من الأندلس ولد سنة 560هـ ، درس في الأندلس ، ثم تنقل في بلدان كثيرة ،واستقر به المقام في الشام ، كان ظاهري المذهب ودرس الحديث ثم تصوف واعتنق التصوف الفلسفي الغنوصي ، وهو ناشر فكرة وحدة الوجود وصاحب مذهب الحلول والاتحاد ، قتله أهل الشام عندما قال لهم : معبودكم تحت قدمي ، ويزعم مناصروه أنه حفر تحت قدميه فوجدوا جرة مملوءة ذهباً .

ملأ ابن عربي الدنيا وشغل الناس ، يقول الإمام المناوي : تفرق الناس في شأنه شيعاً وسلكوا في أمره طرائق قدداً ، فذهبت طائفة إلى أنه زنديق لا صديق ، وذهب قومٌ إلى أنه واسطة عقد الأولياء .

ويسميه الصوفية بالشيخ الأكبر ، وقد ألف الحافظ برهان الدين البقاعي كتاباً سماه(مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) ، وكتب العلامة عبد الرحمن بن عبد الخالق كتاباً أظهر فيه ضلالات ابن عربي وكفره ، والعلماء الذين كفروه أكثر من أن يعدوا .

وممن دافع عن ابن عربي ابن العماد الحنبلي الذي قال: يقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي عرضت السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان من حديثٍ قاله قال قلته ، وما كان من حديثٍ لم يقله قال لم أقله ، يقول ابن العماد : إن لم يكن الشيخ محي الدين مجتهداً فلا أرى في الدنيا مجتهد.

والعجب من ابن العماد كيف صدق دعوى هذا الأفاك الذي يكذب ويدجل على الناس في هذه الدعاوي الكاذبة؟ ، ثم متى كان العلماء يعتمدون على مخاريق فلان وعلان في تصحيح الحديث ؟ ، وهل رتبة الاجتهاد تنال بالكذب والمخرقة أم أن علماء الأصول وضعوا قواعد وشروطاً لمن يستحق رتبة الاجتهاد وهذه المرتبة لا ينالها الأدعياء الدجاجلة بل ينالها العلماء المتعمقون في الشريعة الحذاق في علومها وفنونها.

الطرق الصوفية .

ويقصد فيها الطرق التي ابتدعها شيوخ الصوفية لتربية مريديهم في طريق التصوف ، ليوصلوهم من خلالها إلى تزكية نفوسهم لينالوا رضا الله تعالى والجنة فيما يزعمون.

فالطريقة هي منهج حياةٍ يختطه الشيخ لمريديه ، يتمثل هذا المنهج بمجموعة من المجاهدات للنفس وبمجموعةٍ من الأوراد المبتدعة ومجموعةٍ من الأدعية يلزم بها المريدون ويتواصون عليها فترةً من الزمن ، ثم ينتقلون إلى غيرها من المجاهدات والأذكار، وقد تحتوي بعض الخلوات والطقوس الأخرى التي تختلف باختلاف الطرق الصوفية .

قديماً قالوا : الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، وإذا نظرنا في طرق الصوفية وجدناها بعدد أنفاس الخلائق ، ولكن هل هذه الطرق توصل إلى الله تعالى؟.

متى ظهرت الطرق الصوفية؟

في زمن التابعين وتابعيهم كان التقشف والتزهد ظاهرةً فرديةً ، يقوم بها المتزهد من تلقاء نفسه ويجعل ذلك منهجاً لحياته.

وفي زمن الإمام أحمد بن حنبل ، ظهر الحارث المحاسبي رحمه الله الذي كان يجمع الناس في بيته ويتكلمون في الرقائق وبما فيه تهذيب النفوس ويأكلون الخبز اليابس مع الماء ويظلون يتكلمون ويتباحثون فيما به تهذيب نفوسهم ويتواجدون ويتباكون وبعضهم من يزعق من شدة الهيام ويقومون الليل حتى الفجر .

وقد حضر الإمام أحمد ذلك خلسةً وأخذه الوجد ، ولكنه عندما سئل عن حضور هذه المجالس نهى عنها ومع الأيام ظهرت فكرة المريد والشيخ وفكرة البيعة فظهرت بذلك الطرق الصوفية وانتشرت في جميع أنحاء العالم .

،وكان ظهورها تقريباً أواخر الدولة الأيوبية في القرن السابع الهجري في زمن الانحدار الحضاري وسبب ظهورها انتشار الجهل والأمية في المجتمع وحاجة الناس إلى من يرشدهم في أمور دينهم ، فظهر شيوخ يجمعون الناس حولهم يعلمون الناس شيئاً من الفقه وشيئاً من الأخلاق والتزهد ، ويجمعونهم في أماكن أو خلوات تسمى بالزوايا الصوفية .

ولكن هذه الطرق مع الأيام تحولت من طرق تسعى لتربية المجتمع والحفاظ على الإسلام والدين إلى طرقٍ احترافيةٍ ، يستغل فيها شيخ الطريقة عواطف الناس الدينية لينال منهم دنياه ، من جاهٍ ومنصبٍ وتبرعاتٍ يجمعها من المريدين .

وكذلك الأوقاف التي توقف للشيخ وللزاوية فأصبحت الطرق مظهراً من مظاهر التكسب بالدين غير المشروع .

وصاحبت الطرق الصوفية الكثير مما يسمى بالكرامات والخوارق التي ينسبها المريدون إلى شيوخهم ليكثر الأتباع ورواد الطريقة ، فالشيخ يكثر رصيده عند الناس من كثرة الكرامات المزعومة.

يقول الشاعر في شأن التصوف وانحداره:

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقة .

صار التصوف صيحةً وتواجداً ومطبقة .

مضت العلوم فلا علومٌ ولا قلوبٌ مشرقة .

كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق المخلقة .

حتى تكون بعين من عنه العيون المحدقة.

تجري عليك صروفه وهموم سرك مطرقة .

فالتصوف بعد أن كان منهجاً لتهذيب النفس وتزكيتها أصبح ظاهرةً اجتماعيةً يمثلها شيخ الطريقة وحوله مريدوه الذين يمارسون مجموعةً من الطقوس المبتدعة .

و الطريقة تحتاج لمكان للاجتماع وهذا المكان يسمى خانقاه وجمعه خانقاوات ، أو زاوية ، وهذه الزوايا انتشرت كثيراً في عصور الانحدار تحت رعاية الدولة ، فالدولة الأيوبية والمملوكية والعثمانية كانت تدعم الزوايا وتوقف لها الأوقاف السخية ، وكان كل مسجدٍ من المساجد بجانبه زاوية للصوفية .

يجتمع الصوفية في الزاوية يذكرون الله تعالى ويؤدون خلواتهم وطقوسهم الدينية .

وتبلورت الطرق بشكل كبير في ظل الدولة العثمانية التي تبنت التصوف وأنفقت الأموال الطائلة على الطرق الصوفية ، وقد بنى السلطان سليم العثماني مسجداً على قبر محي الدين بن عربي، وأكرم الناس والصوفية غاية الإكرام.

وقد أقامت الدولة العثمانية آلاف المساجد والزوايا الصوفية في تركيا والشام ومصر والشمال الإفريقي، وكان السلطان العثماني يحضر مجلس الذكر في زاويةٍ خاصةٍ في الأستانة اسطنبول .

وكانت الموالد النبوية تقام في جميع أنحاء الدولة بشكل جماهيري ضخمٍ مهيبٍ ، وكان السلاطين والولاة يحضرون هذه الموالد ، وكان أكبر الموالد على سطح الأرض يقام في اسطنبول ويحضره السلطان العثماني.

هذه الطرق الصوفية لها جوانب إيجابية وجوانب سلبية :

من إيجابيات هذه الطرق أنها كانت تربط الناس بالله من خلال العبادات والمجاهدات ، كما أنه كان لها دورٌ كبيرٌ في تثبيت الناس على الدين في كثيرٍ من البلاد التي تعرضت للغزو الخارجي ، فالطرق الصوفية في

تركستان الشرقية والغربية وبلاد القوقاز والقفقاس لعبت دوراً كبيراً في مواجهة المد الشيوعي والإلحاد ومحاربته ، وتحولت هذه الطرق إلى حركات سياسية جهادية يقودها شيخ الطريقة لمحاربة المستعمر الصيني والروسي الذي أراد محاربة الإسلام واقتلاعه من تلك البلاد .

وفي دول إفريقيا كالسنغال ونيجيريا قادت الطرق الصوفية الجهاد ضد المستعمر الغربي وكانت الزوايا الصوفية مقرات لشحذ همم المجاهدين وتسليحهم ، كما وقفت هذه الطرق في وجه الحملات التنصيرية التي حاولت تنصير المسلمين الأفارقة في دولٍ مختلفةٍ .

وفي الشام كان الشيخ بدر الدين الحسني شيخ الطرق الصوفية الأب الروحي للثورة السورية ضد فرنسا وتثبت الدراسات أن الطرق الصوفية قاومت العدو الروسي القيصري والشيوعي وسميت حركات المقاومة باسم الحروب المقدسة ، ومن ذلك انتفاضات النقشبندية في 1972–1979–1981–1986م ضد الشيوعية.

وحركة الأسماتشي عام 1928–1920–م التي كان للصوفية الدور الأكبر فيها .

وفي عام 1918–1923م حاول النقشبنديون إبان الثورة الشيوعية فصل القوقاز عن روسيا و إقامة مملكة إسلامية في داغستان وقاتلوا خلال عشر سنوات وقضى معظمهم شهداء في أرض المعركة أو على عيدان المشانق أثناء حملة القمع التي قادها لينين وستالين لعنهما الله.

وفي ليبيا قادت الطريقة السنوسية بقيادة عمر المختار الجهاد ضد المستعمر الإيطالي لأكثر من عشرين سنة.

وفي تركيا وقفت الحركة النورسية بقيادة الشيخ سعيد النورسي النقشبندي في وجه العلمانية الكمالية .

وفي المغرب الإسلامي انقسمت الطرق إلى فريقين فريقٌ قاتل المستعمر وعلى رأسه الطريقة القادرية في شمال نيجيريا ، وفريقٌ آخر كان له دورٌ كبيرٌ في تثبيط المسلمين عن الجهاد والوقوف مع المستعمر كالطريقة التيجانية والطريقة الوزانية في الجزائر ، يقول أحد كبار القادة الفرنسيين في الجزائر عن بعض شيوخ التيجانية أنهم كانوا يتمنون أن يرجع الاتفاق مع فرنسا عليهم وعلى أتباعهم بالخير العميم ، بينما وقفت الطريقة الدرقاوية في وجه المستعمر الفرنسي .

يقول الباحثون : رفض خلفاء التيجاني المعونة التي طلبها منهم المقدم الدرقاوي للجهاد ضد الفرنسيين .

وفي عام 1836م حاول الأمير عبد القادر الجزائري الاستعانة بالتيجانيين في الجهاد فرفض شيخهم مؤثراً الحياة الآمنة.

والأسوأ من هذا في عام 1844 م قدم شيخ التيجانية مساعدة مادية للمارشال الفرنسي غالييه لتساعده في حربه ضد الأمير عبد القادر.

وقد كتب الشيخ محب الدين الخطيب مقالاً في مجلة الأزهر يفضح الدور الخياني الذي قامت به بعض

الطرق الصوفية في الجزائر .

فكان للطرق الصوفية مواقف شجاعة وقفت في وجه المستعمر والإلحاد والتنصير والعلمانية ، ومواقف خائنة ثبطت همم الجماهير وساندت المستعمر.

كما كان للطرق الصوفية في إفريقيا دورٌ كبيرٌ في نشر الإسلام بين الوثنيين ، فقد تغلغلت الصوفية في مجاهل إفريقيا وأدخلت الكثير من الشعوب في الإسلام.

والطرق الصوفية في هذا العصر أصبحت في الغالب مثبطةً عن الجهاد وعن الدعوة وعن العمل الحركي وتميل إلى التكاسل والانعزال وتدعمها السلطات العلمانية لتقف في وجه الحركات الإسلامية العاملة وهذا مما يؤسف له.

هذا عن الطرق الصوفية بشكل عام ، والآن سنبحث في أشهر هذه الطرق باختصارٍ شديدٍ.

من هذه الطرق : البكطاشية ، والدرقاوية ، و التيجانية ، والرفاعية ، والشاذلية ، والعروسية ، والعيسوية ، والقادرية ، والنقشبندية ، و المريدية ، والمولوية ، و غيرها ، وهذه الطرق تفرقت إلى طرقٍ أصغر .

1- <u>الطريقة الملامتية.</u>

وهي طريقةٌ قديمةٌ لا وجود لها في هذه الأيام ولكن أفكارها وقصصها شائعة كثيراً عند الصوفية .

وسميت الملامتية من اللوم ، يقول ابن نجيد : لا يبلغ الرجل شيئاً من مقام هؤلاء القوم حتى تكون أفعاله كلها عنده رياء، وأحواله كلها دعاوى.

أي يعتبر كل تصرفاته رياءً فإذا صلى قال : هل كانت صلاتي خالصة لله أم شابها شيءٌ من الرياء ؟.

والملامتية لا يحضرون مجالس السماع كي لا يفتضح أمرهم من خلال صياحهم أو تواجدهم .

ويقوم الملامتيون بأعمال ظاهرها يخالف الشرع ليصرفوا أنظار الناس عنهم ، أو ليستجروا سخطهم وعقوبتهم لهم.

يروى أن أبا يزيد البسطامي قدم إلى الحجاز فنودي في المدينة أن أبا يزيد قدم المدينة فخرج الناس جميعاً لاستقباله ودخل المدينة بإكرامٍ ، وحين انشغل الناس بأعمالهم تخلف عنهم فلما دخل السوق سرق رغيفاً أمامهم وأكله في نهار رمضان فانفض الناس عنه.

فلما سأله مريده عن فعله قال: ألم تر أني تركت مسألة واحدة من الشريعة فردني الناس جميعاً ، وذكر له أن الخباز كان عبداً له وكان مسافراً يجوز له الفطر.

وقد نسي هؤلاء الملامتية قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (رحم الله عبداً جب المغيبة عن نفسه) .

والملامتية ليس لها أتباعٌ في هذه الأيام ولكن الفكر الملامتي موجودٌ في جميع الطرق الصوفية ويعدون ذلك

طريقةً لكسر النفس .

فيذكرون أن الشيخ فلان اشتغل سنة في تنظيف الحمامات حتى وصل إلى مرتبته ، وشيخ آخر أعجبته نفسه فذهب لينظف أحذية المريدين بلحيته.

ويكذبون على الإمام الغزالي وينسبون له قصةً مكذوبةٍ مفادها أنه ذهب إلى حذّاء في الشام ليربيه ،فبينما هو جالسٌ عنده إذ مرّ بقربهما حصانٌ فتغوط فأمره الحذّاء بأن يضعها في عمامته ، ووالله قرأت الغزالي في جميع كتب المؤرخين الثقات ولم أجد هذه القصة المكذوبة مع أني سمعتها في أكثر من عشرين درساً في دمشق ، وكأن القذارة قربةٌ يتقرب بها الصوفي إلى الله.

يقول شيوخ الصوفية :الإنسان يجب أن يدوس على نفسه ويقهرها ، وهم غارقون في الملذات ، وكل هذا من التسويق الإعلامي .

ويروي مشايخ الصوفية في دروسهم قصة عن أحد أوليائهم أنه صحب قافلة في سفرٍ فاختلى في نفسه في الليل وناجى الله قائلاً سألتك ثلاثاً فأعطيتني اثنتين ولم تعطني الثالثة ، فأحس بمن يراقبه فسكت ، فاستحلفه بالله ألا يخبر أحداً بقصته فرفض حتى يخبره بالأمور الثلاثة ، فقال : الأولى قلت يارب سألتك أن تبغضني في النساء فاستجبت لي ، وسألتك أن تكرهني في الطعام فاستجبت لي ، وأسألك أن تحرمني المنام فلم تستجب لي ، وقد تناسى هؤلاء الصوفية قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا وإني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغم عن سنتي فليس مني) ، وقوله تعالى : (ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم).

2- <u>الطريقة البكطاشية .</u>

تنسب هذه الطريقة إلى رجلٍ اسمه حاجي بكطاش عام 738هـ ، وطورها أحد أتباع الطريقة واسمه باليم بابا عام 922هـ .

انتشرت هذه الطريقة في جبال الأناضول في تركيا ، وبلاد الأرنؤوط في ألبانيا وكوسوفو، وهم متأثرون بغلاة الشيعة ، وهم يعتقدون بالتثليث كالنصارى والثالثوث المقدس عندهم هو : الله محمد علي.

وعندهم ما يسمى بالاعتراف كالنصارى الكاثوليك ، فمن يذنب يعترف بين يدي شيخه ليغفر له ، وتبيح هذه الطريقة الخمر ، ولهم عدة تكايا أهمها زقيزل دلي سلطان في أدرنة في تركيا، و يؤمنون بتناسخ الأرواح ، ويسقطون جميع الفرائض كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

و في سنة 1826م استأصل السلطان العثماني محمود شأفتهم وضيق عليهم وما يزال القليلون يعيشون في تركيا وألبانية ويسمون أيضاً **بالعلي إلهية** وهم قريبون جداً من الفرقة النصيرية الكافرة ، لذلك يعدهم بعض الباحثين من النصيرية وهذا خطأ .

3-التيجانية.

مؤسسها أحمد التيجاني المتوفى في المغرب سنة 1818م ، اختلف الناس في هذا الرجل فبعضهم يعتبره القطب الأعظم والولي المتفرد ، وبعضهم وعلى رأسهم العلامة محب الدين الخطيب يقول عنه بأنه شابٌ مغرورٌ ضعيف العقل ، قليل المعرفة بالإسلام تفوه بغير علمٍ ، تلقف كلماتٍ من بنيات الطريق.

تنتشر هذه الطريقة بكثرةٍ في ليبيا والجزائر والمغرب والسنغال و مالي ونيجيريا ومعظم الغرب الإفريقي.

والتيجانية فريقان:

في الجزائر لعبت دور الخيانة كما مر معنا وعملت على تثبيط الناس عن قتال الفرنسيين وتحالفت مع المستعمر ضد الأمير عبد القادر الجزائري.

بينما في الغرب الإفريقي ظهر الحاج عمر الفوتي ، الذي أدخل الجهاد في الطريقة التيجانية ، وكان يقود المعارك ضد العدو المستعمر البريطاني والفرنسي ، فحشد الإنجليز جيوشاً جرارة وحاربت المجاهدين ، ودمرت عاصمة الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي تمبكتو.

4-الرفاعية .

تنسب إلى الشيخ أحمد الرفاعي الذي ولد في قرية أم عبيدة بين البصرة وواسط سنة 512هـ ، وكان فقيهاً في المذهب الشافعي ، ثم تصوف ، و كان زاهداً شديد الحلم ، وكان يحب الحيوانات ويعطف عليها

وله كتابٌ مشهورٌ يسمى البرهان المؤيد، ويعد من كتب التصوف السني .

إلا أن الطريقة الرفاعية بعده انحرفت ودخلها كثيرٌ من الشعوذة والسحر ، وتقوم هذه الطريقة بما يسمى بالنوبة يضرب فيها بالطبول وتستخدم مختلف الآلات الموسيقية ويتجول الرفاعية في الطرقات ويغنون ورقصون ، والنوبة هذه تشبه السيرك ، وفي عروضهم يستخدمون الشيش يدخلونه في فمهم أو بطونهم ، ويمشون على الزجاج ويأكلون النار، ويلعبون بالأفاعي ويركبون الخيل والسباع ، ويذبحون الذبائح ويصنعون كميات كبيرة من الهريسة ويوزعونها على الناس ، وربما أدخل شيخ الطريقة يده في حلة الهريسة وحرك الطعام وهي تغلي .

ويقيمون الموالد حول القبور كقبر الشيخ محي الدين والشيخ رسلان الدمشقي والشيخ الصيادي في حماة.

ويلبس الرفاعية العمائم الخضراء ، ويذكرون اسم الله على شكل أنين آآآآآ.

من فروع الرفاعية : العلوانية والجباوية ، وفي مصر طريقة الدوسة يدوس فيها الشيخ على أجساد مريديه الممددين على الأرض ، وكل ذلك تراكمات من الجهل والخرافة .

5-الشاذلية .

تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المولود سنة 590هـ ، كان رجلاً صالحاً عالماً ، تنقل بين تونس ومصر

والعراق ومكة ، تزوج في القاهرة وأنجب ، ودرس في المدرسة الكاملية ، ودرس كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، والرسالة القشيرية ، لم يكن يؤثر العزلة والتقشف دائماً ، وقد دخل عليه صوفيٌ يلبس ثوباً من الشعر الخشن وكان الشيخ يلبس لباساً حسناً ، فقال الصوفي للشاذلي : ما بهذا عبد الله، فأمسك الشاذلي بثوب الصوفي وقال : و لا بهذا يعبد الله.

فكان يعرف عنه إعراضه عن الخشونة في اللباس ، أخذ عنه الطريقة أبو العباس المرسي ، وعن أبي العباس أخذ الطريقة ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم الصوفية المشهورة ، وقد عني بشرحها الكثير من الكتاب الصوفية قديماً وحديثاً ، ومن أفضل شروحها شرح الدكتور البوطي في خمسة مجلداتٍ.

وكان الشاذلي يأمر بالعمل ويحارب الكسل ، وكان يقول : إن الله يحب العبد المحترف.

ولم يخرج الشاذلي طوال حياته عن الخطوط العريضة للعقيدة والسلوك السني ، وكان يكره التصوف الفلسفي ولا يرضى به، وكان يرى أن التصوف هو تخليةٌ وتزكيةٌ ، والتخلية هي التحرر من أمراض العجب والكبر والحسد .

وكان الشاذلي مندمجاً بالحياة العامة ، وكان له دورٌ في تحرير دمياط من الصليبيين الذين غزوها سنة 648هـ.

توفي الشاذلي في الحج سنة 656هـ في الصحراء الشرقية ، وأهم عناصر طريقته : التوبة ، الخلوة بين فترة وأخرى ، جهاد النفس بالورع التوكل والرضا والزهد وأخذ شيءٍ بسيطٍ من متاع الدنيا ، ويتميز الشاذلية عن غيرهم بالأوراد والأذكار ، فعندعم ما يسمى بالأحزاب وهي عبارة عن مجموعة من الأوراد والأدعية ، منها حزب يقرأ بعد الفجر، وحزب البحر يقرأ بعد صلاة العصرر ، وحزب الفتح والأوقات ، وغيرها من الأحزاب المتنوعة والموزعة على الأيام والأوقات.

لم يترك الشاذلي كتباً لأتباعه وقال : كتبي أصحابي .

تفرع عن الشاذلية الطريقة الحنفية ، و الجزولية ، والزروقية ، والبكرية ، والوفائية .

وتنتشر الشاذلية في بلاد الشام و مصر وغيرها من بلاد الإسلام.

من شيوخ الشاذلية في الشام أبو النور خورشيد ومعهد الفتح الإسلامي وشيوخه كالشيخ أديب كلاس وصالح الفرفور وأولاده ، وعبد الرزاق الحلبي وعبد الهادي الخرسة وأخوه خالد وغيرهم ، والشيخ هشام البرهاني وكذلك الشيخ عبد الرحمن الشاغوري وتلميذه عبد العزيز الخطيب .

يقوم أتباع الشاذلية بالذكر الجهري ويسمونه الحضرة ويقفون في الذكر ويرددون اسم الله باللفظ المفرد ثم يقفزون وينحنون للأمام ، ثم يسرعون في ترداد اسم الله حتى يصبح حمحمات وأهأهات ، ويقولون (الله حي) ومع السرعة تصبح إح إح إح ، ثم إح أه ، إح أه.

ويتواجدون ويتصارخون ويحدوهم الحادي الذي ينشد بصوتٍ عذبٍ ليزدادوا في القفز والحمحمات.
وهم كالرفاعية يقدسون القبور ويقدمون لها النذور ، ويعتقدون بالأموات ويستغيثون بأرواح الأولياء كالشاذلي وغيره ، ويظنون أن أرواح الأولياء تساندهم وتنفعهم إذا استغاثوا بها وطلبوا المدد منها.
وكل ما ذكرناه عن التصوف البدعي من الشيخ والبيعة والأوراد والموالد والتوسل والاستغاثة بالمقبورين والحضرة والسماع والوجد والكرامات وغيرها موجودة في هذه الطريقة وغيرها من الطرق.

6-القادرية.

أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو من طبرستان ، ولد سنة 470هـ، وتوفي في بغداد وكان فقيهاً في المذهب الشافعي والحنبلي معاً ، وكان رجلاً صالحاً ورعاً ، سلك طريق التصوف ، وله العديد من الكتب مثل البرهان المؤيد وكتبه ملتزمة غالباً بمنهج التصوف السني المعتدل.
وبعد وفاته انحرفت الطريقة عن منهج مؤسسها وأخذ أتباعها بكثيرٍ مما ذكرنا من أمور التصوف البدعي، تنتشر هذه الطريقة في وسط آسيا وبلاد القوقاز كالشيشان وداغستان ، وكذلك في نيجيريا والغرب الإسلامي من السنغال إلى بنين.
وانقسمت هذه الطريقة إلى : البكائية و قادرية أدرار، وقادرية والاتة.
وكان لهذه الطريقة الفضل في نشر الإسلام في إفريقيا ، والجهاد ضد الروس الشيوعيين بقيادة حاجي كيشييف في داغستان الذي استشهد في السجن ، وتعرض أتباع الطريقة لمذابح كبيرة من القوات الروسية الكافرة وقدموا الكثير من الشهداء، واستمرت هذه الطريقة في مقاومتها للروس في داغستان والشيشان حتى أواخر التسعينيات من القرن العشرين.
والذكر في الطريقة القادرية جهري يضع المريد يديه على ركبتيه و يقول ها على اليمين و هو على اليسار وحي في الوسط.
ويخلطون الذكر بالرياضة فيدورون ويقفزون قفزات رياضية في الذكر.

7-المولوية.

تنسب إلى جلال الدين الرومي الذي يلقبه الأتراك بمولانا جلال الدين ، كان فقيهاً حنفياً ، وكان له اهتمامات في التدريس والوعظ ، وعندما بلغ الأربعين انتقل إلى التصوف بعد أن التقى بالشيخ شمس الدين التبريزي ، والرومي من شعراء التصوف كابن الفارض ، وكان فيلسوفاً صوفياً يكتب في فلسفة التصوف وفلسفة الحياة والحب الإلاهي، والشيعة يقدسونه وكتاباته منتشرة بشكل كبير في إيران وهي مكتوبة بالفارسية .
تنتشر هذه الطريقة في تركيا وبلاد فارس وبلاد الشام ومصر .

تهتم هذه الطريقة بالسماع والرقص ويستخدمون جميع الآلات الموسيقية ، ويدورون في حلقات الذكر لمدة طويلة ويزعمون أن ذلك من الوجد.

من طامات هذه الطريقة اختلاط الرجال بالنساء في مجالس الذكر ، حيث يجتمع الذكور والإناث في الرقصات.

8-النقشبندية.

أسسها محمد بهاء الدين البخاري المشهور بنقشبند، أي النقاش ، ويزعمون أن الشيخ ينقش بنود تعاليمه في قلوب مريديه.

ولد النقشبندي سنة 717هـ في قرية قريبة من بخارى ، تزوج وعمره 18سنة ، وتولى تربيته الروحية الشيخ ماسي ، وكان يجمع بين الشريعة وتعلم السنة النبوية إلى جانب التزكية والطريقة الصوفية .

حج مرتين وسافر إلى كثيرٍ من المدن الإسلامية ، توفي سنة 791هـ.

انقطع لتربية مريديه على منهج أهل السنة ، وتربى على يديه آلاف المريدين ، وتسمى أحياناً بالصديقية لأنهم يزعمون أن سندها يصل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وسندها منقطع كغيرها من الطرق الصوفية ، وبين كل شيخ وشيخه أكثر من مئتي سنة ، ويزعمون أنهم تلقوا الطريقة عن بعضهم في عالم الأرواح.

تنتشر هذه الطريقة في الصين وتركستان شرقي وقازان وتركيا وبلاد فارس وكازاخستان وطاجاكستان والعراق والشام.

والتصوف النقشبندي أكثر أنواع التصوف اعتدالاً .

ومن النقشبندية في الشام الشيخ أحمد كفتارو وجماعته ، والشيخ عبد الهادي الباني وجماعته ، والشيخ الخزنوي في الحسكة وجماعته ، وكل ما ذكرناه في التصوف البدعي موجودٌ في النقشبندية.

والنقشبندية يزعمون نسبة طريقتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويعتقدون أن شيخهم مجازٌ من النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، فيزعمون أن الشيخ أمين كفتارو التقى بروح النبي في اليقظة وأخبره بأن يعطي الطريقة لابنه أحمد كفتارو.

ويستدلون على هذه الدعوى بقوله تعالى: (وداعياً إلى الله بإذنه) فالدعوة إلى الله عندهم تحتاج إلى إذن من الرسول للداعي حيث تأتي روح النبي إليه وتأذن له بالدعوة كما يزعمون ، وقد أذن النبي لكفتارو ، وكفتارو يأذن لمن شاء من مريديه وهكذا.

والذكر عند النقشبندية يكون بطريقةٍ خفيةٍ ويسمونه الذكر السري أو الخفي ، ويكون بحالة الجلوس على الركب والاتجاه للقبلة في مكانٍ مظلمٍ لأن ذلك أدعى للخشوع ، وفي الذكر يقرؤون الفاتحة والإخلاص ثم

الاستغفاروالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقومون بالرابطة الشريفة حيث يتخيلون صورة الشيخ ويزعمون أن الشيخ يفتح لهم الباب إلى الله ، و بعد ذلك يذكرون اسم الله المفرد من غير تنفس ويحاولون الصاق اللسان في سقف الحلق عند الذكر ، وإذا ضاق بهم النفس قالوا : إلاهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي .

يستمر الذكر نصف ساعة أو ساعة ، وينسبون إلى مشايخهم أنهم يبقون عشرين ساعة في الذكر ، وتختم الجلسة بذكر جهري ودعاءٍ وأناشيد.

وعند النقشبندية الخلوة لمدة معينة قد تكون أسبوعاً أو أربعين يوماً أو أربعة أشهر ، يختلي فيها المريد عن الناس ويذكر الله بما يعطيه شيخه من أورادٍ لا يجوز له أن يخالفها أو يخلط غيرها بها .

عند الانتهاء من هذه الطرق نقول: ما كان منها موافقاً للكتاب والسنة نضعه على الرأس والعين وما خالفهما نضرب به عرض الحائط، وهذه الطرق هي واقعٌ موضوعي لا يمكن تجاهله ويشكل أتباعها قسماً كبيراً من أهل السنة والجماعة ، ولا يمكن محاربتها كما يفعل الوهابيون والسلفيون، فعلينا أن ننظر في الجوانب الإيجابية في هذه الطرق ونحاول الاستفادة منها والتركيز عليها ، والحوار مع أصحاب الطرق ليتخلوا عن بدعهم ويلتزموا بالسنة ، ولابد من اللطف في الحوار معهم فهم يستقطبون الكثيرين من أهل السنة ، لعل الله يجمع الجميع تحت ظلال سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهج السلف الصالح.

المصادر والمراجع.

1-الأباضية في موكب التاريخ : علي يحيى معمر .

2-الأباضية في ميدان الحق : ناصر المسقري .

3-الأباضية مذهب إسلامي معتدل : علي يحيى معمر .

4-الإبانة في أصول الديانة : الأشعري .

5-ابن عربي : عبد الرحمن عبد الخالق.

6-إحياء علوم الدين : الإمام الغزالي .

7-الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة: شيبة الحمد.

8-أسرار الباطنية والفرق الخفية: محمد عثمان الخشت.

9-الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم.

10-الإسماعيلية تاريخ وعقائد: إحسان إلهي.

11-أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية: لبرنارد لويس.

12-أضواء على العقيدة الدرزية: أحمد الفوزان.

13-أعلام الإسماعيلية: مصطفى غالب.

14-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن قيم الجوزية .

15-الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام: يحي بن حمزة العلوي.

16-إلى التصوف يا عباد الله : أبو بكر الجزائري. 1-

17-الإمامة في الاسلام: عارف تامر.

18-الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي: للجبهان.

19-البداية والنهاية : ابن كثير .

20-البرهان المؤيد: أحمد الرفاعي. 2-

21-بيان مذهب الباطنية وبطلانه: الديلمي. 3-

22-التآلف بين الفرق الإسلامية: محمد حمزة.

23–تاريخ المذاهب الإسلامية : محمد أبو زهرة. –4
24–التصوف في نظر الإسلام: سميح عاطف الزين. –5
25–تلبيس إبليس : ابن الجوزي –6
26–الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي –7
27–حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
28–الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: للدكتور الخطيب.
29–حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي.
30–الحق الدامغ : أحمد الخليلي .
31–حلية الأولياء : أبو نعيم الأصفهاني. –8
32–دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي . –9
33–دراسات الإباضية : عمر النامي. –10
34–الدروز: محمد الزعبي.
35–رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي:تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.
36–ركائز الإيمان بين العقل والقلب : محمد الغزالي . –11
37–الروح : ابن قيم الجوزية .
38–سقوط الجولان: خليل مصطفى.
39–سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : علي محمد الصلابي.
40–سيرة ذي النورين عثمان بن عفان : علي الصلابي.
41–شرح جوهرة التوحيد : الباجوري. –12
42–شطرنج العارفين: ابن عربي . –13
43–طائفة الدروز: محمد كامل حسين.
44–طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها: د.سليمان الحلبي.
45–طبقات الأولياء : عبد الوهاب الشعراني. –14
46–طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية.

47-العلويون أو النصيرية عبد الحسين الشيعي .
48-العلويون أو النصيريون: عبد الحسين مهدي العسكري
49-العلويون شيعة أهل البيت الشيرازي.
50-العلويون في سوريا : محمد رضا شمس الدين.
51-عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة: محمود المراكبي. -1
52-العقيدة الإسلامية : مصطفى الخن. -2
53-عقيدة الدروز: محمد أحمد الخطيب.
54-العقيدة والفكر المعاصر : محمد سعيد رمضان البوطي.
55-عوامل ظهور الفرق في الفكر الإسلامي: د مسعود الوازني. -3
56-الفتوحات المكية : ابن عربي . -4
57-الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادي
58-فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها: د غالب بن علي عواجي. -5
59-الفصل بين الملل والنحل ابن حزم . -6
60-فصوص الحكم : ابن عربي . -7
61-فضائح الباطنية: للغزالي.
62-الفكر الإرجائي : سفر الحوالي . -8
63-الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة: عبد الرحمن عبد الخالق -9
64-القرامطة: محمود شاكر. -10
65-قواعد الأحكام : العز بن عبد السلام.
66-كبرى اليقينيات الكونية -11
67-كشف أسرار الباطنية: لأبي الفضائل الحمادي.
68-لمحات من التصوف وتاريخه:د السائح علي حسين.
69-مجموع الفتاوى : ابن تيمية.

70–مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين : ابن قيم الجوزية .
71–الملل والنحل للشهرستاني.
72–الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.
73–الموسوعة اليوسفية في أدلة الصوفية: يوسف خطار محمد.
74–نظرات حول المذهب الأباضي : مريم القتبية .
75–النقشبندية : عبد الرحمن دمشقية.
76–الهفت الشريف تحقيق د.مصطفى غالب.
77–الوابل الصيب من الكلم الطيب.
78–وجاء دور المجوس : سرور زين العابدين .